روائع المسرح العالمي

١٣

لعبة الحب والمصادفة

مسرحية في ثلاثة فصول

تأليف

ماريفو

ترجمة
الدكتور محمود محمد قاسم

مراجعة
الدكتور محمد محمد القصاص

تقديم
الدكتور محمد مندور

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

لعبة الحب والمصادفة

مسرحية في ثلاثة فصول

تأليف

ماريفو

هذه ترجمة مسرحية :

LE JEU DE L'AMOUR ET DU HAZARD

par

MARIVAUX

مقدمة

بقلم

الدكتور محمد مندور

يعتبر الأدب المسرحى من ألصق الفنون بالحياة وتطورها عبر القرون ، فما إن تتغير أوضاع الحياة حتى تتغير تبعاً لذلك صور الأدب المسرحى ومضمونه . والنظر فى مسرحية لعبة الحب والمصادفة لماريفو ، أحد كبار كتاب الملهاة فى القرن الثامن عشر بفرنسا ، مقارنة بكوميديات موليير مثلا ، كفيلة بأن توضح هذه الحقيقة فى جلاء . بل إن نظرة عامة إلى تطور فن المسرح فى فرنسا ، من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر ، كفيلة بأن توضح مدى ارتباط تطور هذا الفن بتطور الحياة السياسية والاجتماعية فى فرنسا ، خلال هذين القرنين .

لقد كانت فرنسا خلال القرن السابع عشر فى عصرها الذهبى ، عصر لويس الرابع عشر ، الذى بلغت فيه تلك البلاد أوج عظمتها ، وإن تكن تلك العظمة قد تحققت على حساب الشعب ، الذى دفع ثمنها

باهظاً من دمائه ، التى أريقت فى الحروب ؛ وأمواله التى بددت فيهـا ، أو فى بذخ الملوك والأمراء ورجال الإقطاع ، عند ما كان المجتمع لا يكاد يعرف غير طبقتين لا ثالث لهما هما : طبقة النبلاء وطبقة الشعب ، وهو الوضع الذى ظل يسود الإنسانية كلها ، منذ العصر القديم ، حتى القرن الثامن عشر ، الذى أخذت تظهر فيه الطبقة الجديدة ، التى سميت عندئذ بالبرجوازية ، أى طبقة سكان المدن ، الذين كونوا طبقة وسطى بين الطبقتين التقليديتين ، أخذ نفوذها يقوى ويشتد ، حتى استطاعت أن تقوم فى سنة ١٧٨٩ ، أى قبيل أواخر القرن ، بالثورة الفرنسية الكبرى ، التى حطمت الأرستقراطية التقليدية ، وإن تكن الطبقة الجديدة التى سيطرت بعد تلك الثورة ، خلال القرن التاسع عشر ، لم تلبث أن كونت هى الأخرى طبقـة أرستقراطية جديدة وإن لم تستند فى أرستقراطيتها إلى نبالة الدم والوراثة ، أو إلى كهنوت الدين ، أو سطوة الإقطاع الزراعى ، بل استندت إلى سيطرة المال ، الذى تدفق على تلك الطبقة نتيجة للثورة الصناعية الرأسمالية ، التى انتشرت فى أوروبا كلها خلال القرن التاسع عشر ، مما رفع البرجوازية إلى مكانة السيطرة على المجتمع ، فأصبحت البرجوازية تعنى الرأسمالية الحاكمة المتحكمة ، وأخذت طوائف العمال تتكاتف لتقوم هى الأخرى بثورتها الاشتراكية المعروفة .

كان المجتمع ينقسم إذن حتى القرن الثامن عشر إلى طبقتين : طبقة النبلاء وطبقة الشعب ، وكان المسرح هو الآخر يعرف فنين لا ثالث لهما ، فن التراچيديا أى المأساة ، الذى انتعش فى العصور الذهبية للبلاد ، مثل عصر پركليس فى آتينا القديمة ، وعصر اليصابات فى إنجلترا ، وعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا . وكان هذا الفن أداة تعبير عن الطبقة الأرستقراطية من ملوك وأمراء ، بعد أن كان فى العصر القديم أداة تعبير عن الآلهة نفسها وأنصاف الآلهة ، ثم فن الكوميديا أى الملهاة ، الذى كان منذ عصر أرستوفانيس اليونانى القديم ، حتى عصر موليير الفرنسى ، أداة للتعبير عن حياة الطبقة الشعبية ومشاكلها ، ونقد بعض نواحى الفساد فيها ، حتى إذا كان القرن الثامن عشر ، حيث أخذت تظهر البرجوازية فى المجتمع ، وتحتل مكانها ، بفضل استعانة الملوك بها فى التخلص من أمراء الإقطاع الريفى ، وإخضاعهم لسلطانهم فى عملية توحيد الأوطان الأوروبية الكبرى ، التى ظهرت فى أعقاب عصر البعث والنهضة فى أوروبا ، لم يكن بد من أن تخترع الطبقة الوسطى فناً مسرحياً خاصاً ، يعبر عن مشاكل حياتها ، وبخاصة وأنها الطبقة التى كانت أكثر الطبقات تزمتاً وتمسكاً بأصول الأخلاق وتقاليد المجتمع ، على نحو ما لا نزال نشاهد حتى اليوم فى مجتمعاتنا العصرية حيث نرى الطبقة الأرستقراطية فوق قواعد

الأخلاق ومواضعات المجتمع ، بينما الطبقة الشعبية المغلوبة على أمرها تحس بأنها أقل شأناً وقدرة على أن تتزمت أو تتمسك فى شدة بمواضعات المجتمع وتقاليده ، بينما الطبقة الوسطى هى التى تتزمت وتشتد ، حتى لنراها تتعثر فى قواعد الأخلاق وأصول المجتمع ، وتتخذ منها قيوداً صلبة ، تسبب لها الكثير من المشاكل ، فى حياة الأفراد والأسر ، وفى علاقتها بالمجتمع . وعلى دراسة وتحليل ونقد مشاكل هذه الطبقة توفر الفن المسرحى الجديد ، الذى ظهر فى القرن الثامن عشر لظهور البرجوازية وسمى فعلا بالدراما البرجوازية .

وكان القرن الثامن عشر أيضاً قرن الفلسفة والتفكير ونقد الأوضاع البالية . وتناول هذا النقد فنون المسرح أيضاً على أساس منطقى خالص . فقال المفكرون : إن الفن المسرحى الذى يعتبر مرآة تنعكس فيها الحياة ينقسم إلى نوعين : مأساة فاجعة داكنة ، وهى التراچيديا ، وملهاة ضاحكة ساخرة . والحياة فى نسيجها العام ليست مأساة ولا ملهاة ، بل الغالب عليها اللون الوسط ، وليست المآسى والمهازل إلا لقطات عارضة فى شريط الحياة ، وأما نسيجها العام فأوضاع تثير التأمل والابتسام والتأسى ، ولكنها لا تفجع النفس ، ولا تشق الأشداق بالضحك . ولهذا فكر أدباء هذا القرن فى نوع جديد من المسرح الشعرى ، سموه بالكوميديا الدامعة ، ولكنه جاء فناً فاتراً ، لم يلق استجابة من الجماهير التى

تلتمس فى المسرح انفعالات قوية ، تخرجها عن رتابة الحياة المملة ، بوساطة المأساة الفاجعة ، أو الملهاة الضاحكة . ولهذا لم يكتب لهذا الفن البقاء .

وعلى أية حال ، فقد أدى هذا التطور الاجتماعى والفلسفى فى القرن الثامن عشر ، إلى هبوط فن التراچيديا وبدء اختفائه ، لتحل محله الدراما الحديثة ، التى لا تتقيد بأصول التراچيديا التى كانت تعتبر فناً أرستقراطياً ممتازاً ، له أصوله الكلاسيكية الثابتة ، التى كان أقل خروج عليها يؤدى إلى اهتزاز وتدخل أكبر الهيئات الثقافية الرسمية ، مثلما حدث عندما اتهم الشاعر كورنى بالخروج على مبدأ الوحدات الثلاثة فى مسرحية « السيد » ، فاهتز مجمع الخالدين ، أى الأكاديميا الفرنسية ، التى قررت تكوين لجنة من أعضائها ، برياسة الأستاذ شابلان ، للنظر فى الجريمة التى نسبت إلى كورنى ، وكتبت اللجنة عن هذه التهمة تقريراً ضافيـاً ، بعنوان « رأى الأكاديميا فى السيد » . ورد كورنى على هذا التقرير بتسع مقالات مسهبة عن فن المسرح الكلاسيكى .

اختفت أو أخذت تختفى إذن التراچيديا بأصولهـا الكلاسيكية الراسخة . وأما الكوميديا ، فعلى العكس ، كانت الفن المسرحى . الذى ازدهر حقاً فى القرن الثامن عشر ، ولكنها لم تعد كوميديا شخصيات ، كما كانت عند موليير فى القرن السابع عشر ، عندما خلق هذا الشاعر العملاق

شخصيات روائية خالدة ، تعتبر نماذج بشرية ، مثل « دون جوان » و « هرباجون » البخيل و « ألسست » المتزمت الأخلاق وغيرهم ، بل خضعت لاتجاه العصر وأهدافه ، فأصبحت وسيلة للدراسة والتحليل النفسى ، أو وسيلة للنقد الاجتماعى الثائر على الأوضاع التقليدية الظالمة ، تمهيداً للثورة الفرنسية الكبرى ، على أساس من نشر الوعى الثورى ، بفضل هذا النقد العنيف ، الذى نجده عنـد كاتب ثورى كبير ، مثل بومارشيه ، الذى نقد صفاقة نبلاء الإقطاع وسيطرتهم الغاشمة على المجتمع وأبناء الشعب ، فى ثلاثيته الساخرة الضاحكة العنيفة ، « حلاق أشبيلية » ، و « زواج فيجارو » ، و « الأم الآثمة » . واتخذ من ابن الشعب ، فيجارو ، بطلا لمسرحياته الثلاثة ، التى صور فيها كيف استطاع هذا البطل ، بذكائه المتوقد واتساع حيلته ، أن يسخر من النبلاء سخرية مرة لاذعة ، وأن يشنقهم فى حبل بلاهتهم . ففيجارو حلاق فى المسرحية الأولى ، وخادم فى المسرحيتين الأخريين ، ولكنه فى الحقيقة سيد الموقف فى المسرحيات الثلاث ، حتى لنراه يسخر فى مسرحية الزواج من حق قديم بغيض للنبلاء ، فى الدخول بعرائس أتباعهم فى ليلة زفافهن .

وأما كوميديا الدراسة والتحليل Comédie d'analyse فقد برع فيها خلال هذا القرن الثامن عشر وقبيل الثورة الفرنسية الكبرى كاتبنا الكبير ماريفو واسمه الكامل بيير

كارليه دى شـــامبلان دى ماريفو Pierre Carlet de Chamblain de Marivaux الذى ولد بباريس ، فى ٤ فبراير سنة ١٦٨٨ ومات بها فى ١٢ فبراير سنة ١٧٦٣ ، بعد حياة أدبية واجتماعية حافلة ، ألف خلالها القصص والمسرحيات ، وأصدر عدداً من المجلات ، التى لم تستطع البقاء زمناً طويلا ، كما أفلس مالياً سنة ١٧٢١ ، كضحية لنظام المغامر المالى لو Law الذى اخترع نظام العملة الورقية ، وأدخله فى عقل حكام فرنسا الذين ظنوا فى سذاجة ، أن كثرة هذه العملة الورقية دليل زيادة فى الثروة العامة للدولة ، حتى ولو أصـــدرت دون رصيد فعلى يغطيها فى خزائن البنك الذى يصدرها . وبالرغم من أن ماريفو قد كتب بعض الكوميديات فى نقد بعض الأوضاع الاجتماعية الفاسدة ، مثل كوميديا « جزيرة العبيد » إلا أن إنتاجه الأدبى الحق الذى يعتـــد به ، كان من نوع ما سميناه كوميديا الدراسة والتحليل ، بل لقد تخصص ماريفو تقريباً فى دراسة وتحليل عاطفة واحدة من عواطف الإنسانية الكبرى ، بل لعلها أكبرها على الإطلاق ، وهى عاطفة الحب . وتعتبر مسرحية أو كوميديا « لعبـــة الحب والمصادفة » التى نقدم لها هنا من خير المسرحيات التى كتبها فى دراسة وتحليل هذه العاطفة بفنه وأسلوبه الخاص المتميز الذى كون بفضله فى حياته نفسها ، مدرسة مسرحية خاصة ،

أطلق عليها معاصروه مدرسة ماريفو وسموها الماريفودية ، التى تمتاز بعلاج أحر العواطف البشرية بروح الدعابة الخفيفة المجنحة ؛ حيث نرى العشاق المدلهين يتحدثون عن غرامهم المبرح ، فى دعابة لطيفة خفيفة ، كان من الممكن أن تنقلب عند شاعر أو كاتب رومانسى أو كلاسيكى مثل راسين إلى نار مشتعلة .

والكوميديا أى الملهاة عنـــد ماريفو لا تستهدف إثارة الضحك بل تستهدف كما قلنا الدراسة والتحليل ، بروح فكهة خفيفة لطيفة فى غير انفعال ولا توتر شعورى ، وهى قد تقوم على فرض أو حيلة غريبة من حيل الخيال كنقطة بدء ، ولكنها لا تلبث أن تتحول إلى دراسة نفسية جادة ، بل وعميقة ، رغم روح الدعابة الخفيفة ، التى يصوغ بها ماريفو حواره المجنح . وهذا هو ما حدث فى مسرحية « لعبة الحب والمصادفة » ، التى تقوم على مصادفة غريبـــة ، هى تحفظ الفتاة النبيلة «سيلفيا» من الزواج ، إلا عن بينة واقتناع وتثبت من حقيقة مشاعر من يتقدم لخطبتها ، ومن صلابة شخصيته واستقامتها . فنراها عند ما يختار لها أبوها خطيباً من أسرة كريمة ، وهو «دورانت» ابن أحد أصدقائه الأعزاء ، نراها تتحفظ فى قبول هذا العرض . ولما كان أبوها قد اتفق مع الخطيب وأبيه ، على أن يأتى الخطيب لزيارته وللتعرف على ابنته ، فإن « سيلفيا » لا ترفض كفتاة عاقلة ذكية هذه

الزيارة ، ولكنها تتفق مع خادمتها الحسناء « ليزيت» على أن تتنكر كل منهما فى ثياب الأخرى وفى شخصيتها الاجتماعية ، لا النفسية طبعاً ، لاستحالة مثل هـــذا التنكر النفسى . «فليزت» ستظل طبعاً محتفظة بعقلية الخدم ، وإن ظهرت فى مظهر الأسياد ، ولسوف ترقب «سيلفيا» تصرف دورانت معها ، وإلى أى حـــد ستستطيع روحه أن تعلق بروح خادمة وتتمناها زوجة له . وفى هذا الوضع أكبر محك لاختبار معدن دورانت ، ومدى نضوجه العقلى والعاطفى . ولكن القدر يشاء إلا أن يسلك دورانت المسلك ذاته ، فيتفق هو الآخر مع خادمه على أن يتنكر كل منهما فى ثيـــاب الآخر وفى شخصيته الاجتماعية ، ليتحقق هو الآخر من معدن « سيلفيا » وهل تستطيع أن تتجاوب مع خادمه أم لا . ويخبر دورانت السيد أرجون والد خطيبتـــه فى خطاب ، بحقيقة ما ينوى عمله أثناء زيارته لأسرته ، وبذلك يدخل أرجون وابنه ماريو فى سر هذه اللعبة ، التى تظل «سيلفيا» وحدها جاهلة له . ثم يحضر الخطيب متنكراً فى ثياب خادمة ، وتلقاه «سيلفيا» وخادمتها ليزيت ، متنكرتين كل منهما فى ثياب الأخرى ، وينبثق الحب أو الميل الشديد فى نفس كل اثنين من الأربعة . فخادم «دورانت» الذى يحمل اسما شهيراً فى تاريخ ما يعرف بالكوميديا الإيطالية النزعة ، وهو أرلكان ، يتعلق بحب ليزيت ، ظانا أنها «سيلفيا» . وتبادله ليزيت حباً بحب . وتظن سيلفيا ، التى

تجهل تنكر دورانت ، أن خطيبها قد أخذ يحب خادمتها ، وتتجاوب روحه مع روحها فتطلب من ليزيت ، المتنكرة فى شخصيتها ، أن ترفض هذا الحب ، وأن تعلن — باعتبارها سيلفيا — رفض قبوله لها زوجاً . ولكن ليزيت تماطل وتراوغ فى الأمر ، وذلك بينما نرى الحب ينبثق أيضاً فى نفس دورانت — المتنكر فى صورة خادمه ، نحو سيلفيا المتنكرة فى صورة خادمتها ليزيت .

ولكن بينما نرى الخادمين المتنكرين فى صورة سيد وسيدة يندفع أحدهما نحو الآخر فى غير تحفظ ، نرى السيد والسيدة الحقيقيين ، المتنكرين فى صورة خادمين ، يتحفظ كل منهما ، ويقاوم حبه نحو الآخر ، لاعتقاد كل منهما أن الشخصية المحبوبة شخصية خادم لاسيد ، ولا يليق به أن يتزوج خادما أو خادمة . ويروق دورانت المتنكر لسيلفيا ، كما تروق له إلى أبعد حد ، ولكن دورانت يثبت كرم معدنه وسمو تفكيره ، فيمسك نفسه عن التمادى فى هذا الحب الملح ، حتى ينتهى به الأمر إلى أن يعلن حقيقته لسيلفيا المتنكرة فى صورة خادمة ، ويبصرها بالعقبة الكبيرة التى تقوم دون زواجه منها . وتحاول سيلفيا عبثاً أن تحمله على أن يغلب الحب على الاعتبار الاجتماعى ، وأن تثير فى نفسه صراعا كالذى كان يجرى داخل أبطال كورنى ، بين العقل والعاطفة ، أو بين الحب والواجب ، بل وتتآمر سيلفيا

مع أخيها ماريو الداخل فى سر اللعبة على أن تثير غيرة دورانت بأن يظهر ماريو فى مظهر المنافس لدورانت على حب سيلفيا ، ومع ذلك يظل دورانت عند موقفه من التأبى على الاستجابة لحبه ، مما يثبت ، مما لايسمح بأى شك ، كرم معدن دورانت وسلامة تفكيره ، ودقة إحساسه ، بوضعه الاجتماعى وقوة إرادته . وهنا فقط تستطيع سيلفيا أن تخلصه من عنائه ، وأن تفصح فى النهاية عن حقيقتها وحقيقة ماريو المنافس المزعوم فيعلم دورانت المتنكر أنها هى سيلفيا الحقيقية المتنكرة فى ثياب ليزيت خادمتها ، وأن ماريو شقيقها ، وبذلك يتم الاختبار المتبادل للشخصيتين ، لطبيعة الحب الصادق ، الذى نشأ بينهما ، بل ويتم التصارح أيضا بين الخادم أرلكان والخادمة ليزيت ، ويتفقان هما أيضا على الزواج ، ويتحق قول شاعرنا البدوى الظريف :

وأحبها وتحبـــنى ويحب ناقتها بعيرى

هذا هو التحليل النفسى لعاطفة الحب ، فى كوميديا « لعبة الحب والمصادفة » ، التى تعتبر من نوع الكوميديا الخفيفة ، والتى تعتبر نموذجا واضحا ، لما يعرف باسم الماريفودية فى المسرح ، بفضل حوارها اللطيف الخفيف وأحداثها الفريدة التى وإن تكن قد ابتدأت بمحض المصادفة إلا أنها لم تلبث أن اتخذت سمتا جادا ، وسط روح الدعابة اللطيفة التى تغمرها . وعندما كتبها ماريفو فى سنة ١٧٣٠ ،

كان قد انصرف عن تقديم مسرحياته لمسرح الدولة ؛ بعد أن فشلت التراجيديا التى كتبها لهذا المسرح الرسمى فى سنة ١٧٢٠ باسم « هانيبال » وفشلت ، ولم تستطع أن تبقى على خشبة ذلك المسرح أكثر من أربع ليـــال ، فانصرف ماريفو إلى كتابة المسرحيات الخفيفة ، من نوع الكوميديا وتقديمها لفرقة المسرح الإيطالى ، التى كانت قد عادت إلى العمل بباريس ، بعد أن طردت منها لبضع سنوات ، بسبب تهريجها الرخيص ، حتى إذا سمح لها بالعودة للعمل فى العاصمة الفرنسية ، أخذت تبحث عن كوميديات جادة ، ووجدت ضالتها عند ماريفو ، الذى غذاها بالكثير من كوميدياته الخفيفة ، ومن بينها كوميديا « لعبة الحب والمصادفة » . وكانت هذه الفرقة تجتذب إليها جمهوراً عريضاً ، بفضل نضارة الديكورات وطرافة الملابس ، وانسجام ألوانها وخفة ورشاقة ممثليها الذين كانوا يضيفون بحركاتهم إلى النص الكثير من الإيحاءات المرفهة . ويخلقون الجو المرح اللطيف فى غير ابتذال . وكان كل ممثل يتخصص فى دور معين ، ويلتزم نوعا معينا من الثياب يعرف به . ومن أشهر تلك الأدوار دور الخادم أرلكان . وعندما تحول المسرح الإيطالى فى سنة ١٧٥٥ إلى مسرح غنائى باسم الأوبرا كوميك ، انتقلت كوميديا « لعبة الحب والمصادفة » إلى المسرح الفرنسى أى مسرح الدولة . وبالرغم من النقد الذى وجه لهذا المسرح

العتيد، لتقديمه مثل هذه المسرحية الخفيفة ، فإنه قد ظل يقدمها حتى وقتنا الحاضر . وبلغ عدد الحفلات التى عرضت فيها هذه الكوميديا على خشبة مسرح الكوميدى فرانسيز حتى سنة ١٩٥٦ ألفا ومائتى حفلة ، مما يشهد بمقدار النجاح الذى لاقته ولا تزال تلاقيه هذه الكوميديا الخفيفة اللطيفة والجادة فى نفس الوقت .

هذه هى كوميديا « لعبة الحب والمصادفة » وهذا هو مؤلفها الذى تقول المصادر التاريخية إنه لم يتلق تعليما كلاسيكيا واسعا ، يمكنه من أن يتتلمذ على عمالقة الأدب القدماء عند اليونان والرومان ، كما حدث بالنسبة للكلاسيكيين أمثال راسين وكورنى وموليير ، الذين اتخـذوا من التراث اليونانى الرومانى القديم إنجيلا لهم ، بينما لم يصب ماريفو من الثقافة الكلاسيكية العميقة إلا النزر اليسير ، ولكنه استعاض عن هذا النقص بقدرته الجبارة على ملاحظة الحياة من حوله ، وتحليلها وتفسير وقائعها ، حتى رأيناه يقلد الكاتبين الإنجليزيين الكبيرين ستيل[1] وأديسون[2] ، صاحبى مجلة الاسبكتيتور[3] أى الرقيب الشهيرة التى تخصصت فى تحليل الظواهر الأخلاقية والاجتماعية فى عصرهما ، فأصدر ماريفو عدة مجلات من النوع ذاته ، لم تستطع أن تعيش طويلا .

---

(١) Steele (٢) Adison (٣) The Spectator

ولكن عمله فيها زوده مع ذلك بحصيلة كبيرة من الملاحظات الصادقة المستمدة من واقع الحياة فى عصره . وبفضل هذه الملاحظات استطاع أن يكتب عدداً كبيراً من كوميديات التحليل الأخلاقى والاجتماعى التى تعتبر كوميديا « لعبة الحب والمصادفة » من خيرها ، ولذلك يسرنى أن أقدمها مترجمة إلى القراء ، وأنا على ثقة من أنهم سيجدون فيها متعة أدبية وفنية وإنسانية بالغة الدقة والرهافة .

أشخاص المسرحية

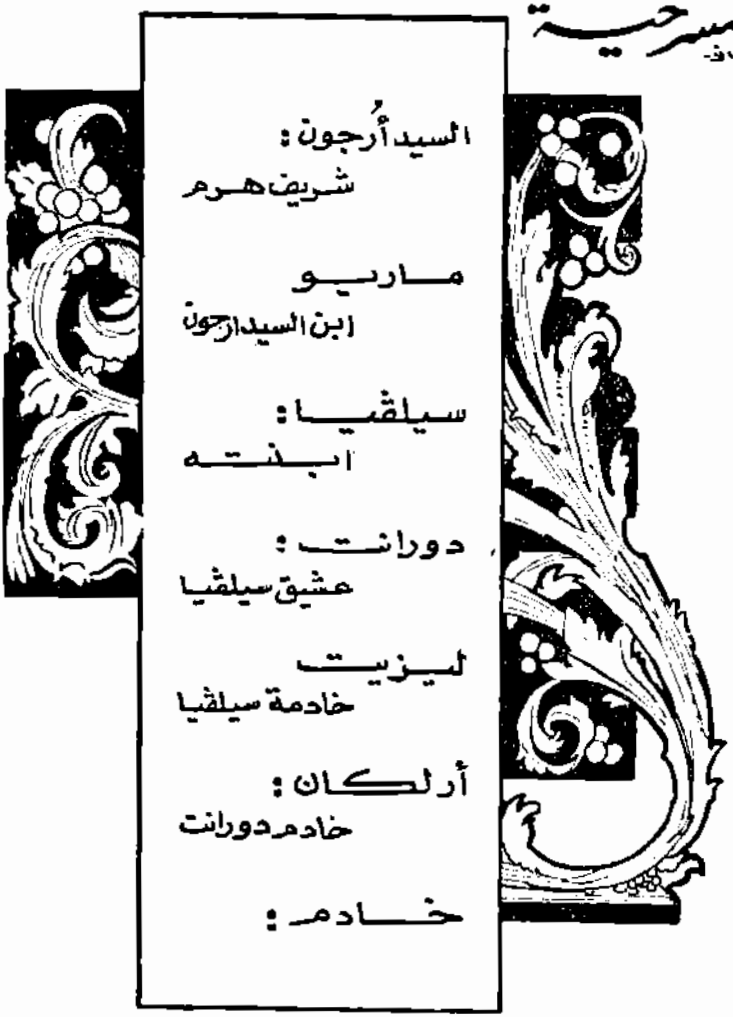

السيد أُرجون :
شريف هرم

ماريو
ابن السيد ارجون

سيلفيا :
ابنته

دورانت :
عشيق سيلفيا

ليزيت
خادمة سيلفيا

أرلكان :
خادم دورانت

خادم :

تقع أحداث المسرحية في باريس في منزل مسيو أُرجون

المنظر الأول

سيلفيا ، وليزت

سيلفيا : لكن أقول لك مرة أخرى : فيم تتدخلين ؟ لماذا تعبرين عن عواطفي ؟

ليزت : لقد اعتقدت أن عواطفك من هـذه الناحية تشبه عواطف جميع الناس . إن السيد والدك يسألني إذا كنت مرتاحة إلى أن يزوجك ، وإذا كان ذلك يدخل على نفسك شيئاً من السرور ، ولقد أجبته أنا : بنعم ، وهذا شيء بديهي ، وربما لم يكن هناك فتاة سواك في العالم لا تعتبر « نعم » هذه صادقة بالنسبة إليها . أما الرفض فليس طبيعياً .

سيلفيا : الرفض ليس طبيعياً ! يا لهذه السذاجة الحمقاء ! إذن أنت تجدين الزواج أمراً شديد الإغراء ؟

ليزت : حسناً ، أجيب عن ذلك بنعم مرة أخرى ، ماذا تظنين ؟

سيلفيا : كفى كلاماً ، واذهبى لترديد هذه السفاهات فى غير هذا المكان . واعلمى أنه ليس من شأنك أن تحكمى على قلبى تبعاً لما تعرفينه عن قلبك .

ليزت : إن قلبى يشبه قلوب الناس جميعاً . فلماذا يدّعى قلبك أنه لايشبه قلب أحد ؟

سيلفيا : الواقع أنها لو وجدت فى نفسها الجرأة الكافية ، لوصفتنى بأننى غريبة الأطوار .

ليزت : لو كنت فى مستواك ، لرأينا كيف تكون الحال .

سيلفيا : ليزت ، هل أنت مصممة على إغضابى ؟

ليزت : ليس هذا غرضى . لكن لننظر إلى واقع الأمر ! فأى ضرر فعلتُ عندما قلت للسيد « أرجون » إنك مرتاحة إلى أن تتزوجى ؟

سيلفيا : أولا ، إن ما تقولينه ليس حقاً ، فلست أشعر بالضيق من أكون آنسة .

ليزت : هذا أيضاً شىء جديد جداً .

سيلفيا : ليس من الضرورى أن يعتقد والدى أنه

يدخل السرور على قلبي عندما يزوجني ، وذلك لأن هذا الاعتقاد يجعله يعمل بثقة قد لا تؤدى إلى نتيجة ما .

ليزت : ماذا ؟ ألن تتزوجي الشاب الذي يختاره لك ؟

سيلفيا : ماذا أدرى ؟ ربما لا يناسبني هذا الشاب إطلاقاً . وهذا يقلقني .

ليزت : يقال إن خطيبك من أكرم الناس أصلا ، وإنه لطيف قوى البنية وسيم الصورة ؛ وإنه من أكثر الناس ظرفاً ؛ ويقال إنه لا يمكن أن يكون هناك من يفوقه في حسن الطبع ؛ فماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ هل من الممكن أن نتصور زواجاً أكثر عذوبة وقراناً أكثر رقة ؟

سيلفيا : أكثر رقة ! أأنت مجنونة حتى تتفوهي بهذه العبارات !

ليزت : عجباً يا سيدتي ، إنه من حسن الحظ أن يوجد عاشق من هذا النوع ويرغب في الزواج حسب الأصول المرعية ؛ الحقيقة أن أي فتاة تحظى بغزله تتعرض

لخطر زواجه دون احتفال ودون مراسيم زفاف ، شاب لطيف ، قوى البنية ، وهذا ما يدعو المرء إلى الحياة من أجل الحب ؛ اجتماعى وحاضر النكتة ، وهذا كل ما يلزم لإشاعة البهجة فى المجتمع ! كل شىء فى مثل هذا الرجل سيكون جميلا ، فالمفيد واللذيذ يجتمعان فيه

سيلفيا : نعم يتحقق ذلك كله فى الصورة التى ترسمينها عنه ، ويقال إنه يشبه هذه الصورة ، لكن هذا هو « ما يقال » ، غير أنه من الممكن ألا أكون من هذا الرأى . إنه رجل جميل كما يقال ، وهذا شىء يكاد يكون عيباً فيه .

ليزت : عيب ! عيب ! إن هذه لفكرة غريبة !

سيلفيا : بل إنها فكرة متزنة كل الاتزان . فمن المألوف عادة أن يكون الرجل الجميل رجلا فاتراً . وقد لاحظت ذلك .

ليزت : أوه ! إنه مخطئ أن يكون فاتراً ، لكنه محق فى أن يكون جميلا .

سيلفيا : ويقال أيضاً إنه قوى الجسم ، وهذا شىء لا وزن له !

ليزت : نعم . هذا شيء يمكن أن يغتفر .

سيلفيا : جمال ووسامة ، إنى فى غنى عن ذلك ؛ إنها مزايا سطحية .

ليزت : سبحان الله ! لو أننى تزوجت يوماً ما ، فإنى سأعتبر هذه المزايا السطحية من مطالبى الضرورية .

سيلفيا : أنت تهرفين بما لا تعرفين . فى الزواج تهتم المرأة فى أكثر الأحيان بالرجل العاقل أكثر من الرجل اللطيف ، وبالاختصار لا أطلب من الرجل إلا أن يكون حسن الطبع ، والحصول على هذا الشيء أصعب مما نظن . إن كل رجل يبالغ فى امتداح طبعه ، ولكن من الذى عاش معه ؟ ألا يتظاهر الرجال بما ليس فيهم ، وخصوصاً عندما يكونون أذكياء ؟ ألم أر بنفسى رجالا يظهرون بين أصدقائهم بمظهر من هم أفضل الناس جميعاً ؟ فكلهم رقة وعـقل ومرح ؛ بل إن ملامحهم نفسها تبدو دليلا على تمتعهم بجميع الصفات الطيبة التى يجدها الناس عندهم . ألا يقـال كل يوم عن

« إرجاست » : «إن السيد فلان يبدو رجلا مؤدباً ومتزناً كل الاتزان ، لقد قيل إنه كذلك ؛ بل لقد قلت أنا أيضاً ذلك عنه . فإن ملامحه لا تخدع أحداً بتاتاً » . نعم لكم أن تثقوا بهذه الملامح الرقيقة المهذبة إلى أقصى حد ، فإنها تختفى بعد خمس عشرة دقيقة لكى ينكشف من ورائها وجه قاتم قاس متجهم يصبح مصدر فزع لأسرة بأكملها ! لقد تزوج إرجاست ، لكن زوجته وأولاده وخادمه لم يعرفوا منه بعد إلا ذلك الوجه الكالح ، فى الوقت الذى يعرض فيه ملامحه الرقيقة التى نعرفها له فى كل مكان ، وهى ليست إلا قناعاً يلبسه عندما يخرج من منزله .

ليزت : لا بد أنه يبدو شديد الغرابة بهذين الوجهين !

سيلفيا : ألا يشعر المرء بالسرور عند ما يرى « لياندر » ؟ ومع ذلك فإنه لا يقول كلمة واحدة فى بيته ، ولا يضحك ولا يزمجر ، إنه روح متجمدة منعزلة بعيدة المنال . فزوجته لا تعرفه ، ولا توجد

بينه وبينها صلة ود ، فهى لم تتزوج إلا تمثـــــالا يخرج من المكتب ويجلس إلى المائدة . ويجعل كل ما يحيط به يتصبب فتوراً وبرودة وملالا . أليس هذا زوجاً مسلياً إلى أكبر حد ؟

ليزت : إن أطرافى تتجمد عند سماعى هذا الوصف الذى تصفين به هذا الرجل ، ولكن ماذا تقولين عن ترساندر ؟

سيلفيا : نعم ، ترساندر ! فمنذ أيام كان قد ثار على زوجته ، وما إن وصلت لديهم ، وأعلن الخادم قدومى حتى رأيت رجلا يهرول نحوى بذراعين مفتوحتين ، وعلى وجهه سيماء الهدوء والبشاشة : ولو رأيتيه لقلت إنه قد انتهى لتوّه من محادثة كلها رقة وبهجة ، فإن الضحك كان لا يزال يرتسم على فمه وفى عينيه ، ياله من خبيث ! تلك هى حقيقة الرجال . من كان يعتقد أن زوجته تستطيع الشكوى من الحياة معه ؟ لقد وجدتها محطمة كالحة الوجه ، وآثار الدموع فى عينها ، وجـــدتها كما سأجد نفسى يوماً ما ، من يدرى ! تلك

هى صورتى فى المستقبل ، فعلى الأقل يمكن
أن أكون نسخة مكررة من تلك الزوجة .
لقد شعرت بشفقة كبيرة عليها وماذا
عسى أن يكون لو أصبحت أنا أيضاً
موضعاً لشفقتك ! يا ليزت إن هذا شىء
فظيع ! فما رأيك فى ذلك ؟ فكرى
فيما عسى أن يكون عليه الزوج .

ليزت : الزوج هو الزوج ، ما كان ينبغى لك
أن تنتهى بهذه الكلمة ، فإن هذا اللفظ
يهوّن على كل شىء آخر .

المنظر الثانى

السيد أرجون ، وسيلفيا ، وليزت

السيد أرجون : آه ، صباح الخير يا ابنتى ، هل الخبر الذى سأقوله لك سيدخل السرور على قلبك ؟ إن خطيبك سيصل اليوم ، فقد بعث إلىّ والده بهذه الرسالة يخبرنى فيها بقدومه . ألا تجيبين علىّ بشىء ؟ إنك تبدين لى حزينة . أما ليزت فإنها تغض بصرها بدورها ، فما معنى ذلك ؟ تكلمى إذن ، ماذا دار بينكما ؟

ليزت : سيدى إنه وجه يبعث الرعدة فى الجسم ، وآخر يسبب الموت ببرودته ، ونفس متجمدة تعيش منعزلة ، ثم صورة امرأة اغبر وجهها واصفر لونها ، وعينان متورمتان وفيهما أثر البكاء ، إن هذا كله هو ياسيدى ما كنا نتأمله بكل تمعن .

السيد أرجون : ما معنى هذا الهراء ؟ نفس ، وصورة ، اشرحى لى الأمر إذن ، فإنى لا أفهم شيئاً مما أسمع .

سيلفيا : إنى كنت أتحدث مع ليزت عن شقاء

كل امرأة يسيء زوجها معاملتها . وقد ضربت لها مثلا بزوجة « ترساندر » التى رأيتها منذ أيام محطمة إلى أقصى حد ؛ لأن زوجها كان قد تشاجر معها دون سبب ، وقد عبرت لها عن ملاحظاتى فى هذه المسألة .

ليزت : نعم كنا نتكلم عن ملامح الوجه التى تروح وتجيء ، وكنا نقول إن الزوج يلبس قناعاً مع الناس فى الخارج ، ويكشر عن أنيابه من زوجته .

السيد أرجون : من كل هذا أفهم يا ابنتى ، أنك تخافين الزواج ، ولاسيما أنك لا تعرفين دورانت .

ليزت : أولا إنه جميل وذلك يكاد يكون عيباً .

السيد أرجون : عيب ! أأنت تحلمين عندما تقولين : عيب .

ليزت : إنى أقول ما سمعته من غيرى ، إنه مذهب سيدتى ، وأنا أدرس عليها .

السيد أرجون : مهلا ، مهلا ، لا شأن لنا بكل هذا يا طفلتى العزيزة ، أنت تعلمين إلى أى حد أحباك ، لقد جاء دورانت ليتزوجك . فمنى رحمتى الأخيرة إلى الإقليم ، اتفقت

على هذا الزواج مع والده ، وهو أعز أصدقائى ، وتجمعنى به رابطة الصداقة منذ عهد قديم ، ولكنا اشترطنا لإتمام هذا الاتفاق أن يعجب كل منكما بالآخر ، وأن يكون لكما مطلق الحرية فى التفاهم فى هذا الموضوع . وإنى لا أقبل منك أية مجاملة لى فى هذا الصدد . فإذا كان دورانت لا يناسبك فليس عليك إلا أن تقولى له ذلك ، وعندئذ سيذهب ؛ وإذا كنت لا تناسبينه فإنه سيذهب أيضاً .

بيرت : سوف يتقرر الزواج على أساس من تبادل الحنان ، كما يحدث فى مسرحيات الأوبرا « أنت تريدنى وأنا أريدك : فهيا بموثق العقود » وإما : « أأنت تحبينى ؟ لا ، وأنا أيضاً لا أحبك . فاسرعوا بإحضار الجواد » !

السيد أرجون : أما أنا فإنى لم أر دورانت أبداً ، فقد كان متغيباً عنـــد ما كنت مع أبيه ، ولكن ما سمعته عنه من خير يجعلنى لا أشك فى أن كلا منكما سوف يعبر لنا عن شكره .

سيلفيا : إنك تغمرنى بحنانك يا أبى . ولا تسمح

لى بمجاملتك إطلاقاً ، وسوف لا أعصى لك أمراً .

السيد أرجون : إننى آمرك بعدم مجاملتى .

سيلفيا : إذن هل أستطيع أن أتجرأ فأقترح عليك، بشأن فكرة خطرت فى ذهنى ، أن تتكرم علىّ بفضل قد يطمئننى كل الطمأنينة .

السيد أرجون : تكلمى . لو كان ذلك ممكنا فإنى أوافقك عليه .

سيلفيا : إنه شئ ممكن جداً ، ولكن أخشى أن أكون مفرطة فى استغلال طيبتك .

السيد أرجون : حسناً فلتفرطى فى استغلالها. هيا ! ، ففى هذا العالم يجب أن يكون الإنسان مفرطاً فى الطيبة حتى يكون طيباً بما فيه الكفاية .

ليزت : إن خير الناس جميعاً هو الذى يستطيع أن يقول ذلك .

السيد أرجون : وضحى ماذا تريدين ، يا بنيتى .

سيلفيا : سيصل دورانت إلى هنا اليوم ، فإذا استطعت أن أراه وأن أفحصه قليلا دون أن يعرفنى ! إن ليزت ذكية يا سيدى ، وهى تستطيع أن تأخذ مكانى لفترة وجيزة ، وسآخذ أنا مكانها .

السيد أرجون : [بصوت منخفض] إنها فكرة طريفة [ثم بصوت مرتفع] اتركيني أفكر قليلا فيما تقولين لي بشأن هذا الموضوع . [بصوت منخفض] إذا تركتها تفعل ما تريد فلا بد من أن يحدث شيء فريد في بابه . إنها هي نفسها لا تتوقع تلك النتيجة [بصوت مرتفع] فليكن لك ما تريدين يا ابنتي ، إني أسمح لك بأن تتنكري . وأنت يا ليزت هل أنت متأكدة تماماً أنك تستطيعين التنكر أنت أيضاً ؟

ليزت : أنت تعلم يا سيدي من أنا . حاول أن تخدعني ، أو أن تحط من شأني . وانظر إذا كنت تستطيع ذلك . وها هي ذي عينة من مظاهر الكرامة التي سألقاك بها . ما رأيك في هذا ؟ هيه ؟ هل تتعرف على ليزت؟ .

السيد أرجون : يا للعجب ! إنني أنا نفسي لا أفرق بينكما . لكن ليس لدينا أي متسع من الوقت ، اذهبي لكي تتزيني بأناقة للقيام بدورك . فإن دورانت قد يفاجئنا .

أسرعا ، وليعلم كل من فى البيت هذا السر .

سيلفيا : إنه لا يكاد ينقضى سوى « المريلة » .

ليزت : أما أنا فسأذهب لإتمام زينتى . تعالى لكى تنظمى لى شعرى . يا ليزت ، حتى تتعودى على وظيفتك : وأرجو أن تنتبهى قليلا إلى عملك

سيلفيا : ستكونين مسرورة أيتها المركيزة ، فهيّا بنا !

المنظر الثالث

ماريو . السيد أرجون . سيلفيا

ماريو : أهنئك يا أختي بالخبر الذي علمت به ، يقال إننا سنرى خطيبك .

سيلفيا : نعم يا أخي ، لكن ليس لدي وقت الآن لمزيد من الكلام ، فعندي أعمال هامة جدا ، وسيقول لك أبي ذلك ، فإلى اللقاء .

المنظر الرابع

السيد أرجون ، ماريو

السيد أرجون : لا تضع وقتها عبثا ، وتعال . فستعلم حقيقة ما يدور هنا .

ماريو : هل من جديد ياسيدى ؟

السيد أرجون : أبدأ بأن أسألك كتمان السر بشأن الأمر الذى سأحدثك عنه ، على الأقل .

ماريو : سأتبع أوامرك .

السيد أرجون : سنرى اليوم دورانت ، ولكننا لن نراه إلا متنكرا .

ماريو : متنكراً ! هل سيأتى هنا لحفلة تنكرية ؟ وهل ستقيم له حفلة راقصة ؟

للسيد أرجون : استمع إلى هذه الفقرة التى جاءت فى خطاب أبيه ، ها هى ذى .. « هذا إلى أنى لاأعلم ما عسى أن تفكر فى هذه الفكرة الخيالية التى خطرت فى ذهن ابنى إنها فكرة غريبة . وهو نفسه يعترف بذلك ، ولكن الدافع إليها دافع شريف بل رقيق . فهو قد رجانى أن أسمح له ألا يصل عندكم فى أول الأمر إلا متنكراً

فى ثياب خادمه الذى سيمثل من جانبه شخصية سيده » .

ماريو : ها ! ها ! سيكون ذلك مسليا .

السيد أرجون : استمع إلى بقية الفقرة ... «إن ابنى يعلم مقدار جدّية العهد الذى سيأخذه على نفسه . ويقول إنه يأمل بفضل هذا التنكر . الذى لن يستمر إلا وقتاً قصيراً . أن يقف على بعض أخلاق خطيبتنا ، وأن يعرفها جيداً ، لكى يحدد مسلكه فيما يجب أن يفعل . وذلك بناء على ما اتفقنا عليه من أن نترك لهما الحرية الكاملة . أما بالنسبة إلى فإنى أثق تماماً بما قلته لى عن ابنتك اللطيفة . وقد وافقت على كل شىء ، مع حرصى على إخطارك بذلك . رغم أنه طلب إلى أن أكتم هذا السر عنك . ولك أن تستخدم ذلك السر مع الخطيبة تبعاً لما تراه مناسباً ... » هذا هو ما كتب به أبوه إلى ، وليس هذا هو كل شىء ؛ بل إليك أيضاً تكملة الموضوع . فإنه لما كانت أختك قلقة بدورها حول القرار الذى ستتخذه تجاه «دورانت» ، فقد طلبت

إلىّ أن تمثل هنا نفس هذه المهزلة ، وذلك على وجه الخصوص لكى تراقب دورانت، كما أن دورانت يريد أن يراقبها . فما رأيك فى هذا ؟ هل تعلم شيئاً أشد غرابة من ذلك ؟ وفى هذه اللحظة تتبادل كل من الآنسة والخادمة ثيابهما . فبأى شىء تنصحنى يا ماريو ؟ هل أخطـــر أختك أم لا ؟

ماريو : أعتقد يا سيدى أن الأمور مادامت قد سارت فى هذا الاتجاه ، فإنى لا أرى أن تغير مجراها . كما أننى أحترم الفكرة التى خطرت لكل منهما ، فلا بد من أن يتكلما معا أطول مدة من وراء هـــذا التنكر المزدوج ، ولننظر . فلربما كان قلباهما يوحيا إليهما بقيمة كل منهما . ولعل دورانت يتعلق بحب أختى . ولو كانت تبدو فى مظهر التابعة . وسيكون ذلك شيئاً فاتنا بالنسبة إليها .

السيد أرجون : سنرى كيف تتخلص هى من هذا المأزق .

ماريو : إنها مغامرة . ولن نعدم أن نجدفيها مايسلينا ، وإنى لأود أن أكون موجوداً منذ البداية . وأن أضايق كلا منهما .

المنظر الخامس

سيلفيا . السيد أرجون ، ماريو

سيلفيا : هأنذا يا سيدى ، ألست رشيقة فى دور الخادمة ؟ وأنت يا أخى يبدو أنك تعلم ما وراء هذا كله . كيف تجدنى ؟

ماريو : فى اعتقادى يا أختى ، أن هذا سيكون شديد الإغراء بالنسبة إلى الخادم . لكنه لايمنع من أن تختلسى دورانت من سيدتك.

سيلفيا : أقول لك بكل صراحة إنى لا أكره أن أروق له فى زى الشخصية التى أمثلها ، ولن أغضب من أن أسلب لبّه . وأن أشعره بالدوار للفارق الذى يفصل بينه وبينى . فإذا كانت مفاتنى تؤدى إلى هذه النتيجة فإنها ستكون سبباً فى سرورى . وسأقدّر هذه المفـــاتن حق قدرها . . . ثم سوف يساعدنى ذلك على معرفة حقيقة عواطف دورانت . أما فيما يختص بخادمه ، فإننى لا أخشى تهداته ، فإن هذه التنهدات لن تطغى على ، وسيكون فى ملامحى شىء يشعره بالاحترام أكثر مما يشعره بالحب .

ماريو : لا تتعجلى يا أختى فإن هذا الصعلوك سيكون مساوياً لك .

السيد أرجون : ولن يعدم أن يقع فى حبك .

سيلفيا : حسناً ، فلن يكون تشرفى بإعجابه غير مفيد ، فإن من طبيعة الخدم أن يكونوا فضوليين ، والحب ثرثار ، وسأتخذ منه وسيلة لمعرفة أخبار سيده .

خادم : سيدى ، لقد حضر خادم يريد أن يكلمك ، وخلفه حمال يحمل حقيبته .

السيد أرجون : فليدخل ، لاشك فى أنه خادم دورانت ، وربما مكث سيده فى مكتب الرحلات حتى يصفى أعماله . أين ليزت ؟

سيلفيا : إن ليزت ترتدى ملابسها ، وتجد ، وهى أمام مرآتها ، أننا خاطر حين نقدم إليها دورانت ، وأنها ستستولى على قلبه بعد قليل من الوقت .

السيد أرجون : كونى على حذر ، فهناك رجل يدخل .

المنظر السادس

دورانت [فى ثياب الخادم] ، السيد أرجون ، سيلفيا ، ماريو

دورانت : إنى أبحث عن السيد أرجون ، أليس هو الذى يشرفنى أن أنحنى أمامه بالتحيـــة ؟

السيد أرجون : نعم ، يا صديقى إنه هو نفسه .

دورانت : ســـيدى ، لا شـــك أن أخبارنا قد وصلت إليك ، إننى خادم السيد دورانت الذى يتبعنى ؛ إذ من عادته أن يرسلنى أمامه ، وهو يبعث إليك باحترامات فى انتظار أن يؤكد لك ذلك بنفسه .

السيد أرجون : إنك تؤدى مهمتك بلباقة كبيرة ، ماذا تقولين يا ليزت بشأن هذا الشاب ؟

سيلفيا : إنى أقول يا سيدى إنه جاء أهلا وسهلا ، وإنه يبشر بالخير .

دورانت : إنك طيبة جداً ، إنى أقوم بواجبى على أحسن ما أستطيع .

ماريو : إنه ليس قبيح الشكل على الأقل ، ومن الواجب أن يحتفظ قلبك بهدوئه يا ليزت .

سيلفيا : قلبى ! إذن ما أكثر العراقيل !

دورانت : لا تغضبي يا آنستي : إن ما يقوله سيدى أكثر مما أستحق .

سيلفيا : هذا التواضع يعجبني ، فلتستمر فى حديثك على الرغم من ذلك .

ماريو : حباً وكرامة ! لكن يبدو لى أن لقب آنسة الذى يعطيه لك شديد الوقار . فأسلوب المخاطبة بين أناس من مستواكم يجب ألا يكون فى هذه الدرجة من التكلف ، وإلا فستكونان دائماً على حذر فى الحديث . هيّا ليعامل كل منكما الآخر دون كلفة . إن اسمك أنت هو ليزت ، أما أنت أيها الشاب فما اسمك ؟

دورانت : خادمك بورجونيون ، يا سيدى .

سيلفيا : حسناً يا بورجونيون ليكن الأمر كما يريد سيدى .

دورانت : وأنت ، سأناديك إذن ليزت ، ومع ذلك سأكون خادم سيادتك على الدوام .

ماريو : خادم سيادتك ! ما زلنا إذن بعيدين عن الأسلوب الدارج فى الحديث . فالواجب أن تقول خادمك .

السيد أرجون : ها ! ها ! ها ! ها !

سيلفيا : [لاخيها بصوت منخفض] إنك تسخر منى .

دورانت : أما عن حديث الند للند فإنى أنتظر أوامر ليزت .

سيلفيا : إذن لقد ارتفعت الكلفة بيننا ! خاطبنى كما تريد يا بورجونيون مادام ذلك يضحك سادتنا .

دورانت : أشكرك يا ليزت ، وإنى أستجيب من فورى للشرف الذى تتفضلين به علىّ .

السيد أرجون : تشجعا يا ولدىّ ، فإذا بدأ كل منكما بحب الآخر فقد تخلصتما تماماً من كل مجاملة.

ماريو : أوه ! مهلا ، يتحـــابان . تلك مشكلة أخرى ، ربما لاتعلمون أنى أطمع فى قلب ليزت ، أنا الذى أحدثكم . حقاً إنه قاس علىّ ، ولكنى لا أريد أن يغتنم بورجونيون مجهوداتى .

سيلفيا : نعم ! هل تتحدث عن قلبى بهذه اللهجة ؟ أما أنا فإنى أريد أن أحظى بحب بورجونيون .

دورانت : أنت تخطئين فى حق نفسك يا ليزت الجميلة ، عند ما تقولين أريد ، لست فى حاجة إلا أن تأمرى حتى تطاعى . .

ماريو : يا سيد بورجونيون . لا شك أنك سطوت على هذا الغزل فى مكان ما .

دورانت : أنت على حق يا سيدى . لقد وجدته فى عينيها .

ماريو : اسكت . فهذا عذر أقبح من الذنب . إنى أمنعك من أن تكون فى مثل هـذا الذكاء المرهف .

سيلفيا : إن هذا لا يضيرك . وإذا كان قد وجده فى عينىّ . فليأخذ منه ما يشاء .

السيد أرجون : لن تستطيع يابنى ، أن تكون أنت الغالب ، فلننسحب ؛ إذ سوف يحضر دورانت ولنذهب لنخبر ابنتى . ليزت ، أرشدى هذا الشاب إلى جناح سيده ، وداعاً يا بورجونيون .

دورانت : إنه لشرف عظيم تضفيه علىّ .

المنظر السابع

سيلفيا ، دورانت

سيلفيا : [لنفسها] إنهم يمثلون فيما بينهم ، ولكن لا أهمية لذلك ، فعلىّ أن أستغل الموقف . إن هذا الشاب ليس غبياً ، ولست أشفق على الخادمة التى سيتزوجها . وسوف يغازلنى ، فلأتركه يتقرب إلىّ بالغزل لكى أعلم منه ما أريد .

دورانت : [لنفسه] إن هذه الفتاة تدهشنى ! ليس هناك امرأة فى العالم لا يسعدها أن تكون فى جمال ملامحها ، فلأتعرف بها [بصوت مرتفع] ما دمنا نتكلم كلاماً ودياً ، ولم يعد بيننا أى تكلف ، فقولى لى ، يا ليزت ، هل سيدتك تشبهك ؟ إنها مغامرة منها إذ تجرؤ على أن تكون لها خادمة مثلك .

سيلفيا : بورجونيون ، إن هذا السؤال يوحى إلىّ بأنك جئت . وأنت عازم على أن توجه إلىّ عبارات الغزل الرقيق . أليس كذلك ؟

دورانت : يا إلهى ! أعترف لك أنى حينما حضرت لم يكن هذا الهدف فى خاطرى ، فعلى الرغم

من أنني خادم أصيل ، لم تكن لى صلات قوية بالخادمات ؛ فأنا لا أحب تفكير الخدم ، أما بالنسبة إليك فالأمر مختلف كل الاختلاف . فما الذى حدث إذن ؟ إنك تسيطرين علىّ ، وأكاد أشعر أمامك بالخجل ، ومن العسير علىّ أن أجرؤ على الكلام معك بتبسط ، فإنى أوشك دائماً أن أرفع قبعتى من على رأسى . وعندما أكلمك كلام الأليف للأليف يبدو لى أننى أمثل ! وفى النهاية أرانى أشعر بميل إلى أن أعاملك باحترام قد يدعو إلى ضحكك . فأى نوع من الخادمات ، أنت إذن ، بمظهرك هذا الذى يليق بأميرة ؟

سيلفيا : أنصت إلىّ ، إن كل ما تقول من إنك شعرت به عندما رأيتنى هو بالضبط ما يقوله لى كل الخدم الذين رأونى .

دورانت : يا إلهى ! لن أدهش حين أعلم أن هذه هى مشاعر كل سيد تشتغلين عنده .

سيلفيا : هذه دعابة جميلة بالتأكيد ، ولكنى أكرر لك مرة أخرى أننى لست مستعدة

لتقبّل ملاطفات هؤلاء الذين يلبسون ملابس الخدم مثلك .

دورانت : هل معنى ذلك أن ملابسى لا تعجبك ؟

سيلڤيا : لا ، يابور جونيون ، لنترك الحب جانباً ، ولنكن مجرد أصدقاء .

دورانت : أهذا هو كل شئ ؟ إن معاهدتك الصغيرة هذه تتكون من شرطين مستحيلين .

سيلڤيا : [لنفسها] أى رجل عجيب هذا الخادم ! [بصوت مرتفع] ومع ذلك فيجب تنفيذ هذه المعاهدة ، فقد تنبأ لى بعضهم أننى لن أتزوج أقل من أحد النبلاء ، وقد أقسمت منذ ذاك الحين ألا أستمع إلى أحد أقل من ذلك .

دورانت : يا للعجب ! هذا شئ مضحك ، فإن ما أقسمت به بالنسبة إلى الرجل قد أقسمت أنا به بالنسبة إلى المرأة ، فقد حلفت يميناً ألا أحب حباً حقيقياً إلا فتاة من أسرة كريمة .

سيلڤيا : إذن لا تبتعد عن هدفك .

دورانت : ربما لم أبتعد بالقدر الذى نظنه ، فإن

لك مظهراً ممتازاً ، وأحياناً يكون المرء نبيل المحتد دون أن يدرى .

سيلفيا : ها ! ها ! ها ! كنت أود أن أشكرك على هذا المديح ، لو لم تكن أمى هى التى تدفع الثمن فى هذه الحال .

دورانت : إذن لك أن تتهمى أمى بمثل هذه التهمة ، إذا وجدت فى حسن مظهرى مايبرر ذلك.

سلفيا : [لنفسها] إنه يستحقه [بصوت مرتفع] لكن ليست هذه هى المسألة ، فلنتته من هذا المزاح ، فلقد تنبأ لى بعضهم بأنى سأتزوج رجلا نبيلا ، ولن أتراجع عن ذلك .

دورانت : يا للعجب ! لوكنت هذا النبيل لأصبحت مهـــدداً بتلك النبوءة ! ولخفت من أن تتحقق ، إنى لا أومن بالتنجيم ، ولكنى شديد الإيمان بوجهك .

سيلفيا : [لنفسها] إنه يجد الرد المناسب دائماً . [بصوت مرتفع]ألاتريد أنتسكت ؟ لماذا تهتم إذن بهذه النبوءة ما دامت تستبعدك ؟

دورانت : إنها لم تتنبأ إطلاقاً بأنى لن أحبك . وأنا أؤكد لك هذا .

سيلفيا : لا . لكنها تقول إنك لن تكسب شيئاً من وراء ذلك، وأنا شخصياً أؤكد ذلك

دورانت : إنك تحسنين القول كل الإحسان ياليزت . إن هذا الاعتزاز بالنفس يناسبك بصورة عجيبة ، ورغم أنه فى غير صالحى فإنى شديد الارتياح إلى أن تكونى معتزة بنفسك إلى هذا الحد ، وقد تمنيت لك ذلك عندما رأيتك لأول وهلة ، وكان من الضرورى أن تتمتعى أيضاً بهذه الميزة ، وإنى أعزى نفسى عن خسارتى بأنك أنت تكسبين بفضل هذا الاعتزاز .

سيلفيا : [لنفسها] حقيقة إن هذا الشاب يدهشنى ، على الرغم من أنى لا أريد الاعتراف ، بذلك [بصوت مرتفع] قل لى من أنت حتى تكلمنى هذا الكلام ؟

دورانت : إننى ابن أناس شرفاء لم يكونوا أغنياء .

سيلفيا : هوّن على نفسك ، فإنى أتمنى لك من صميم قلبى مركزاً أحسن من مركزك . وكم كنت أود أن أساهم فى ذلك لولا أن الثروة ليست على وفاق معى !

دورانت : إنى أعتقد أن الحب أكثر منها خطأ ،

فإنى أفضل أن لو استطعت أن أطمع فى حبـــاك ، بدلا من أن تكون لى ثروة العالم كلها .

سيلفيا : [لنفسها] بحق السماء ها نحن أولاء قد دخلنا فى محادثة منظمة [بصوت مرتفع] إنى ، يابورجونيون لن أغضب من الحديث الذى توجهه إلىّ ، ولكنى أرجوك أن تغير الموضوع ، فلنتكلم عن سيدك . وتستطيع أن تترك الحديث معى عن الحب فيما أعتقد .

دورانت : ربما استطعت أنت أن تكفى عن إلهاب قلبى بهذا الحب .

سيلفيا : آه ، سأغضب ، لقد نفد صبرى معك . إنى أقول لك مرة أخرى أن تترك حبك جانباً .

دورانت : إذن ، أحجبى عنى أنت كل هذا الجمال !

سيلفيا : [لنفسها] فى نهاية الأمر أعتقد أنه يسليني [بصوت مرتفع] حسناً يا بورجونيون . إذن أنت لا تريد أن تنتهى ؟ هل يجب أن أتركك؟ [لنفسها] لقد كان ينبغى أن أتركه منذ زمن طويل .

دورانت : انتظرى يا ليزت ، لقد كنت أريد أنا نفسى أن أحدثك عن شيء آخر ، ولكن لم أعد أتذكر أى شيء هو .

سيلڤيا : لقد كنت أريد أيضاً أن أكلمك عن شيء ، ولكنك شتّت أفكارى أنا أيضاً .

دورانت : أتذكرين أنى سألتك عما إذا كانت سيدتك تشبهك ؟

سيلڤيا : أنت ترجع إلى طريقك بمنعطف آخر ، وداعاً .

دورانت : آه ، لا ، إنى أقول لك يا ليزت ، إن الأمر هنا لا يتعلق إلا بسيدى .

سيلڤيا : حسناً فليكن ، كنت أريد أن أكلمك عنه أنا أيضاً ، وأتمنى أن تتكرم بأن تخبرنى سراً عن حقيقته . إن حرصك على البقاء معه يعطينى فكرة طيبة عنه . لابد أن له مزايا كبيرة ، ما دمت ترضى بخدمته .

دورانت : ربما تسمحين لى بأن أشكرك على ما تقولين الآن مثلا ؟

سيلڤيا : هل تتكرم بألا تتمسك بهذه الهفوة التى وقعت فيها ؟

دورانت : هذا أيضاً رد من الردود التى تملؤنى بالحماس . افعلى ما تشائين ، فلن أستطيع مقاومتك ، وإنى لبائس حقاً حين أجد أن أحب مخلوق فى العالم يعمل على تثبيط همتى .

سيلفيا : وأنا أيضاً أريد أن أعرف كيف حدث أن دفعتنى سذاجتى إلى الاستماع إليك . وذلك لأن هذا شىء غريب فى بابه .

دورانت : أنت على حق . فإن مغامراتنا فريدة فى نوعها .

سيلفيا : [لنفسها] على الرغم من كل ما قاله لى فإننى لم أتركه ، وما زلت معه ، وهأنذا أيضاً أجاوبه ! حقاً إن هذا من سخرية الأقدار [بصوت مرتفع] وداعاً .

دورانت : لابد لنا من أن ننتهى مما كنا نريد أن نقوله .

سيلفيا : أقول لك وداعاً ، لاوسيلة للتفاهم بيننا ، وعندما يحضر سيدك فسأحاول ، بفضل سيدتى ، أن أعرفه بنفسى إذا كان يستحق المعـــرفة . وفى انتظار ذلك هل ترى هذا الجناح ؟ إنه الجناح الخاص بكما .

دورانت : انتظرى ، هاهو ذا سيدى .

المنظر الثامن

دورانت ، سيلفيا ، أرلكان

أرلكان : ها أنتَ ذا يابورجونيون ! هل استقبلت أنت وحميتى استقبالا حسنا ؟

دورانت : لم يكن من الممكن أن يسيئوا استقبالنا يا سيدى .

أرلكان : لقد قال لى أحد الخدم أن أدخل هنا ، وإن صهرى سوف يحضر ومعه زوجتى .

سيلفيا : أنت تريد أن تقول : السيد أرجون وابنته ، من غير شك ياسيدى !

أرلكان : آه ، نعم ، صهرى وزوجتى ، هذا ما أريد ، فقد جئت لكى أتزوج ، وهما ينتظرانى لكى تتزوج ، وهذا شىء متفق عليه ؛ ولم يعد ينقصنا سوى حفلة الزواج ، وهى مسألة بسيطة جدا .

سيلفيا : إنها مسألة بسيطة تستحق دون شك أن يشغل المرء نفسه بالتفكير فيها .

أرلكان : نعم ، لكن متى فكر الإنسان فيها ، لم تعد موضع تفكير مرة أخرى .

سيلفيا : [لدورانت بصوت منخفض] يبدو لى

يا بورجونيون أن الإنسان يعتبر فاضلا عندكم بثمن زهيد .

أرلكان : ماذا تقولين لخادمى أيتها الحسناء ؟

سيلفيا : لا شيء ، إنى أقول له فقط إننى سأذهب لأخطر السيد أرجون بأن ينزل .

أرلكان : ولماذا لا تقولين صهرى كما أقول أنا ؟

سيلفيا : ذلك أنه لم يصبح صهرك بعد .

دورانت : إنها على حق ياسيدى ، لأن الزواج لم يتم بعد .

أرلكان : حسنا ، فهأنذا قد جئت لإتمامه .

دورانت : انتظر ، إذن حتى يتم بالفعل .

أرلكان : يا للعجب ، لماذا كل هذه المحـــاملات المتكلفة بالنسبة إلى صهر العشية أو الغد ؟

سيلفيا : حقيقة أى خلاف كبير بين أن يكون المرء متزوجاً أو غير متزوج؟ نعم ياسيدى لقد أخطأنا ، وسأسارع بإخطار صهرك أنك قد حضرت .

أرلكان : وكذلك زوجتى ، أرجوك . ولكن قولى لى شيئاً قبل أن تذهبى ألست أنت ، أيتها الجميلة ، وصيفة هذا المنزل ؟

سيلفيا : إنك لم تعدُ الصواب .

أرلكان : هذا شيء جميل جدا . وإنى مسرور بذلك . هل تظنين أنى سأكون موضع إعجاب هنا ؟ ما رأيك فىّ ؟

سيلفيا : أجدك ... عجيبا .

أرلكان : حسنا . لحسن الحظ احتفظى بهذا الشعور ، فقد يصادف موضعه .

سيلفيا : إنك متواضع جدا عندما تقنع بهذا الشعور : وهأنذا أتركك ، إذ لابد من أن أخطر صهرك . فمن المؤكد أنه لو علم لجاء . وسأذهب لإحضاره .

أرلكان : قولى له إنى أنتظره بكل شوق .

سيلفيا : [لنفسها] ما أغرب الأقدار ، كل من هذين الرجلين ليس فى موضعه .

المنظر التاسع

دورانت . أرلكان

أرلكان : حسنا ياسيدى، لقد كانت البداية طيبة، وهأنذا أعجب الخادمة .

دورانت : ما أشد غباءك !

أرلكان : لماذا إذن ؟ لقد كانت بدايتى لطيفة جدا

دورانت : لقد وعدتنى أن تتخلى عن طريقتك المبتذلة الحمقاء فى الكلام ! ولقد أعطيتك تعليمات واضحة جدا فى هذا الصدد ،وأوصيتك فقط بأن تكون جادا . اذهب عنى ، فإنى أرى جيداً أننى كنت ساذجاً عندما وضعت ثقتى فيك .

أرلكان : سأكون عندحسن ظنك فى المرحلة الباقية، وما دام الجد ليس كافيا فسأمثل الكآبة ، وسأبكى إذا كان ذلك ضرورياً .

دورانت : لم أعد أدرى أين أنا الآن ، إن هذه المغامرة تسبب لى الدوار ، فماذا يجب على أن أفعل ؟

أرلكان : أليست الفتاة ظريفة ؟

دورانت : اسكت ،فها هو ذا السيد أرجون يأتى نحونا.

المنظر العاشر

السيد أرجون ، دورانت ، أرلكان

السيد أرجون : يا سيدى العزيز ، إنى أسألك ألف معذرة ، فقد جعلتك تنتظرنى ، ولكنى لم أعلم أنك موجود هنا إلا فى هذه اللحظة .

أرلكان : سيدى ، ألف معذرة ! إن هذا كثير جداً ؛ إنه لا يلزمنى سوى معذرة واحدة عند ما لا يقع غيرى إلا فى خطأ واحد . هذا إلى أن جميع معاذيرى فى خدمتك .

السيد أرجون : سأحاول ألا أكون فى حاجة إلى ذلك .

أرلكان : أنت السيد ، أما أنا فخادمك .

السيد أرجون : أؤكد لك أنى سعيد جداً برؤياك ، وأننى كنت أنتظرك بفارغ الصبر .

أرلكان : كان من المستطاع أن أحضر أولا إلى هنا مع بورجونيون . لكن عندما يصل المرء من السفر يكون محطماً كما تعلم ! وقد وجدت من المستحسن أن أقدم نفسى فى حالة أكثر بهاء .

السيد أرجون : لقد نجحت فى ذلك كل النجاح . إن ابنتى تلبس الآن ثيابها ، فقد كانت

متوعكة بعض الشيء ، وفى انتظار
نزولها ، أتريد أن تتناول بعض الشراب
المرطب ؟

أرلكان : آه ؛ لم يحدث مطلقاً أن رفضت أن
أقرع كأسى بكأس أى شخص .

السيد أرجون : وأنت ، يابورجونيون ، لاتهمل أن تهتم
بنفسك أيها الشاب .

أرلكان : إن هذا الشاب مغرم بأطيب الشراب ،
وسيقبل على أفضل الشراب .

السيد أرجون : إذن عليه ألا يقتصد فى شرب ما يريد .

المنظر الأول

ليزت ، السيد أرجون

السيد أرجون : حسناً . ماذا تريدين منى ياليزت ؟

ليزت : أريد أن أتحدث معك لحظة واحدة .

السيد أرجون : بخصوص أى شىء ؟

ليزت : أريد أن أقول لك ما تم حتى الآن ، لأنه من المهم أن تكون على بينة من الأمر ، حتى لا يكون هناك ما تؤاخذنى عليه :

السيد أرجون : إذن هل المسألة جدية إلى هذا الحد ؟

ليزت : نعم جدية إلى أقصى حد . لقد وافقت على تنكر الآنسة سيانمايا ، وقد وجدت أنا شخصياً أن هذا التنكر لا خطر فيه ، لكنى أخطأت فى هذا الحكم .

السيد أرجون : إذن فما الخطر الذي يترتب عليه ؟

ليزت : سيدى ، إنه من العسير على الإنسان أن

يمدح نفسه . لكن على الرغم من كل ما يفرضه علىّ تواضعى ، فمن الواجب مع ذلك أن أقول لك إنك إذا لم تضع حداً لما يحدث . فإن صهرك المستقبل لن يبقى له من قلبه ما يقدمه إلى الآنسة ابنتك . وحتى الآن ما زالت أمامها الفرصة لكى تكشف عن شخصيتها ، وهذا أمر ضرورى وعاجل ؛ لأننى لن أكون مسئولة عما يحدث إذا تأخرتْ عن ذلك يوماً واحداً .

السيد أرجون : هيه ! من أين عرفت أنه لن يرغب فى ابنتى عندما يعرفها ؟ هل أنت ترتابين فى مفاتنها ؟

ليزت : لا ، بل أنت الذى لا ترتاب فى مفاتنى بالقدر الضرورى . إنى أحذرك من أن مفاتنى تعمل عملها ، وانصحاك بألا تدعها تؤدى إلى نتائجها .

السيد أرجون : إنى أقدر لك هذه المفاتن كل التقدير يا ليزت [يضحك] ها ! ها ! ها !

ليزت : هكذا نحن ! أنت تمزح ياسيدى وتسخر منى وهذا يغضبنى ، لأنه سيوقعك فى ورطة .

السيد أرجون : لا تهتمى بذلك يا ليزت ، واستمرى فى طريقك .

ليزت : إننى أكرر لك مرة أخرى ما سبق أن قلته . فقلب دورانت يخفق بسرعة . فأنا الآن مثلا ، أروق فى عينه جداً ، وفى المساء سيقع فى حبى ، وغداً سيعبدنى . ولكنى لست أهلا لذلك . فهو مجاف للذوق . ولك أن تقول فى ذلك يا سيدى كل ما يحلو لك ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون ما أقوله صحيحاً . أترى ؟ إنى أضمن غداً أنه سيعبدنى .

السيد أرجون : حسناً ، فما الذى يهمك ؟ إذا كان يحبك كل هذا الحب فليتزوجك !

ليزت : ماذا تقول ؟ ألن تمنعه من الزواج بى ؟

السيد أرجون : لا ، بشرق ، إذا انتهيت معه إلى هذا الحد فلن أمنعه .

ليزت : خذ حذرك يا سيدى . إننى لم أستغل مفاتنى حتى الآن قصداً ، وقد تركتها تعمل عملها من تلقاء نفسها . لقد ترفقت بعقله ، فإذا أنا تدخلت فى الأمر أكثر

من هذا فسوف أفقده عقله، دون أمل
فى شفائه .

السيد أرجون : لتقلبى رأسه ، ولتدمريه ولتحرقيه غراما ولتتزوجيه فى النهاية ، أنا أسمح لك بذلك لو استطعت .

ليزت : إذا كان الأمر كذلك فإنى أعتقد أننى قد حققت ثروتى .

السيد أرجون : لكن خبرينى ، هل تحدثت ابنتى معك وما رأيها فى خطيبها ؟

ليزت : لم نجد حتى الآن لحظة لنتحدث فيها ؛ لأن خطيبها يلاحقنى باستمرار . ولكنى أعتقد، لأول وهلة ، أنها غير راضية، وإنى أجدها حزينة ساهمة ، وأتوقع تماماً أنها سترجونى أن أبعده عنى .

السيد أرجون : أما أنا فأنهاك عن ذلك . وإنى أتحاشى أن أتحدث معها بصراحة : وهناك أسباب تجعلنى أوافق على استمرار هذا التنكر ؛ فأنا أريد لها أن تفحص خطيبها على مهل، لكن ما مسلك الخادم ؟ هل هو يحاول أن يحب ابنتى ؟

ليزت : إنه شخص غريب الأطوار ، فقد

لاحظت أنه يحاول الظهور فى نظرها فى مظهر الرجل المهم ، وذلك لأنه معتدل القوام . كما أنه ينظر إليها ويتنهد .

السيد أرجون : وهل هذا يغضبها ؟

ليزت : لا . ! إنها تحمر خجلا .

السيد أرجون : حسناً ! إنك مخطئة ، لأن نظرات أى خادم كان . لا تسبب لها كل هذا الاضطراب .

ليزت : إنها تحمر خجلا يا سيدى .

السيد أرجون : إذن لابد أن ذلك يرجع إلى استنكارها .

ليزت : فليكن الأمر كما تظن !

السيد أرجون : على أية حال إذا تكلمت معها فقولى لها إنك تشكين فى أن هذا الخادم يصرف نظرها عن سيده — فإذا غضبت فلا تهتمى بذلك مطلقاً ، فإن هذا من شأنى أنا . لكن ها هوذا دورانت ، يبدو أنه يبحث عنك .

المنظر الثانى

ليزت . أرلكان ، السيد أرجون

أرلكان : آه ! ها أنت ذى يا سيدتى الفاتنة ، لقد سألت عنك كل إنسان . إنى خادمك يا صهرى العزيز أو أكاد أكون خادمك .

السيد أرجون : ذاك ذلك ! وداعاً يا أبنائى ، سوف أتركككما معاً . فمن الطبيعى أن تتحايا قبل أن تتزوجا .

أرلكان : سأقوم بهاتين المهمتين فى آن واحد يا سيدى .

السيد أرجون ، لا تفقد صبرك ، وإلى اللقاء .

المنظر الثالث

ليزت ، أرلكان

أرلكان : سيدتى ، إنه يطالبنى بألا أفقد صبرى ، إنه يتكلم كما يحلو له ، هذا الرجل الهرم .

ليزت : لا أكاد أصدق أن الانتظار ثقيل عليك إلى هذا الحد يا سيدى . إنها لمحاملة لى حينما تتظاهر بفقدان الصبر ، فأنت لم تصل إلا منذ قليل ! وإذن فليس من الممكن أن يكون حبك وصل إلى هذه الدرجة من القوة ، إنه ليس إلا حباً فى طور الميلاد .

أرلكان : أنت مخطئة يا أعجوبة أيامنا ، إن حبا مثل حبك لايستمر فى المهد طويلا ، فإن أول نظرة منك كانت سبباً فى ولادة حبى ، والنظرة الثانية أعطته القوة ، والثالثة جعلته غلاماً ، فلنحاول أن نمنحه الاستقرار بأسرع مايمكن ، ولتحيطيه بعنايتك مادمت أنت أمه .

ليزت : هل تجد أننا نسىء معاملته ؟ هل ترى أننى أهمل شأنه إلى هذا الحد ؟

أرلكان : فى انتظار أن تدبرى أمره ، أعطيه فقط يدك الجميلة البيضاء ، لتلهيه قليلا .

ليزت : خذ إذن أيها المزعج الصغير . مادمت لاأستطيع أن أستريح إلا إذا لهوت معك .

أرلكان : [وهو يقبل يدها] ياعروس روحى ! إن لذلك نشوة كنشوة النبيذ اللذيذ . أية خسارة ألا أنال منه سوى هذه الرشفة .

ليزت : مهلا ، توقف ؛ فأنت شديد الشره .

أرلكان : إنى لا أطمع إلا فى أن أتمالك نفسى فى انتظار أن أنعم بالحياة معك .

ليزت : ألا يجمل بك أن تكون عاقلا ؟

أرلكان : أن أكون عاقلا ! ياللاسف لقد فقدت عقلى . إن عينيك الجميلتين النشالتين سرقتا عقلى .

ليزت : لكن هل من الممكن أن تحبنى كل هذا الحب ؟ إننى لا أستطيع أن أقنع نفسى بهذا .

أرلكان : أنا شخصيا لا أهتم بما هو ممكن ، ولكنى أحبك كرجل فقد صوابه . وسترين جيداً فى مرآتك أن ما أقوله حق .

ليزت : إن مرآتى لن تساعدنى إلا بأن تجعلنى أقل تصديقاً لما تقول .

أرلكان : آه ! أيتها الظريفة المعبودة ! إن تواضعك لا يعدو اذن أن يكون رياء !

ليزت : إن هناك شخصاً يقبل نحونا ؛ إنه خادمك .

المنظر الرابع

دورانت — أرلكان — ليزت

دورانت : سيدى هل أستطيع أن أحدثك لحظة واحدة؟

أرلكان : ألا لعنة الله على الخدم الذين لا يستطيعون أن يتركونا فى سلام .

ليزت : لتنظر سيدى فيما يريد أن يحدثك به .

دورانت : ليس عندى سوى كلمة واحدة أقولها لك .

أرلكان : سيدتى ، لو قال كلمتين فإن الثالثة ستكون هى طرده من خدمتى . ماذا تريد إذن ؟

دورانت : [يخاطب أرلكان بصوت منخفض]
تعال إذن أيها الوقح !

أرلكان : [بصوت منخفض لدورانت]
إن هذه شتائم وليست بكلمات [ثم بصوت مرتفع ليزت] لا تؤاخذينى ياملكتى .

ليزت : تفضل ، تفضل .

دورانت : [بصوت منخفض] غيّر طريقتك هذه من أولها إلى آخرها ، ولا تصرح بحبك ، وابد جادا ساهما بل غير راض ؛ هل فهمتنى ؟

أرلكان : نعم ، يا صديقى . لا تشغل بالك ؛ وانسحبْ من هنا .

المنظر الخامس

أرلكان — ليزت

أرلكان : آه ! ياسيدتى لقد كنت على وشك أن أقول لك أشياء جميلة ، والآن لن أجد سوى كلمات عادية ، فيما عدا حبى الذى يفوق كل حد مألوف . ولكن بمناسبة الكلام عن حبى متى سيصبح حبك أنت رفيقاً لحبى ؟

ليزت : يجب أن نأمل فى تحقق ذلك .

أرلكان : وهل تعتقدين أن ذلك سيحدث قريبا ؟

ليزت : إن هذا سؤال عنيف ؛ هل تعلم جيداً أنك تربكنى ؟

أرلكان : ماذا تريدين ؟ إنى أحترق . وهأنذا أستغيث من النار .

ليزت : لو كانت التقاليد تسمح لى أن أوضح مسلكى بمثل هذه السرعة ...

أرلكان : إنى على يقين من أنك تستطيعين توضيحه بكل اطمئنان .

ليزت : إن تحفظى كامرأة يأبى على ذلك .

أرلكان : ليس هذا هو التحفظ الجارى فى زماننا ؛ فإنه يسمح بأكثر من ذلك .

ليزت : لكن ماذا تريد منى ؟

أرلكان : قولى لى كلمة صغيرة ، قولى إنك تحبيننى . انظرى إنى أحبك أنا شخصيا ، رددى ما أقول : كررى هذه الكلمة يا أميرتى .

ليزت : يا لك من نهم ! حسنا يا سيدى ، أنا أحبك .

أرلكان : حسنا ياسيدتى إنى أموت ؛ وسعادتى تكاد تذهب بعقلى ، وأخاف أن أعدو كالمجنون وسط الحقول . أنت تحبيننى ! إن هـذا مدهش جدا !

ليزت : لى أن أدهش أنا أيضاً من السرعة الكبيرة التى أظهرت لى بها شرف حبك . ولربما قلّ حبك لى عندما يعرف كل منا الآخر معرفة أكثر .

أرلكان : آه ! ياسيدتى ، عندما نصل إلى هذا الحدفسوف أخسر كثيراً بسبب تلك المعرفة ، وسيكون هناك مجال لخيبة الرجاء .

ليزت : أنت تعتقد أن لدىّ من المزايا أكثر مما عندى حقيقة .

أرلكان : وأنت يا سيدتى لا تعرفين مزاياى ، وكان

ينبغى لى ألا أكلمك إلا وأنا على ركبتى .

ليزت : تذكر أن الشخص منا ليس سيد مصيره .

أرلكان : إن الآباء والأمهات يعملون كل شىء حسب هواهم .

ليزت : أما بالنسبة إلى ، فإن قلبى كان سيختارك مهما كنت .

أرلكان : لقد كان سخيا حينما اختارنى .

ليزت : هل أستطيع أن أهنئ نفسى بأنك تشعر بنفس الشعور نحوى ؟

أرلكان : أواه ! سواء علىّ أن تكونى « بيرت » أو « مارجو » ، ولو رأيتك تنزلين إلى « البدروم » والمصباح فى يدك كأية خادمة ، لظللت دائماً أميرة قلبى .

ليزت : كم أتمنى أن تستمر هذه العواطف الجميلة إلى الأبد !

أرلكان : ولكى ينمّى كل منا هذه العواطف نحو صاحبه ، يجب أن نقسم على أن يحب كل منا الآخر ، بالرغم مما قد تقعين فيه من أخطاء فيما يتصل بشخصى .

ليزت : إن هذا اليمين فى صالحى أكثر مما هو

فى صالحك . وإنى لأقسم به من كل قلبى .

أركان : [جاثيا أمامها على ركبته] إن طيبتك تهزنى ، وإنى أسجد أمامها .

ليزت : لا تفعل : فإنى لا أستطيع أن أحتمل رؤيتك فى هذا الوضع . وسأكون سخيفة لو تركتك هكذا ساجداً فانهض . هذا شخص آخر يقبل نحونا .

المنظر السادس

ليزيت — أرلكان — سيلڤيا

ليزت : ماذا تريدين يا « ليزت » .

سيلڤيا : أريد أن أكلمك يا سيدتى .

أرلكان : وما هذه المضايقة ؟ ! لا تتأخرى ياحبيبتى أكثر من ربع ساعة . اذهبى ؛ إن الخادمات عندنا لايدخلن إلا إذا طلب إليهن ذلك .

سيلڤيا : سيدى لابد أن أتكلم مع سيدتى .

أرلكان : لكن يا لها من خادمة عنيدة ! اصرفيها يا ملكة حياتى ، وأنت أيتها الفتاة اذهبى من حيث أتيت . فقد أمرنا بأن يحبّ كل منا صاحبه قبل الزواج ؛ فلا تعطلى علينا أعمالنا .

ليزت : ألا تستطيعين أن تعودى بعدقليل يا ليزت .

سيلڤيا : لكن ، سيدتى .

أرلكان : لكن ! إن من شأن هذه الكلمة أن تصيبنى بالحمى .

سيلڤيا : [لنفسها] آه ! يا للرجـــل اللعين ! [بصوت مرتفع] سيدتى أؤكد لك أن

الأمر عاجل جداً .

ليزت : فلتسمح لى إذن ، يا سيدى ، أن أتخلص منها .

أرلكان : مادام الشيطان يريد ذلك ، وهى أيضاً ... صبرا . سأقوم بنزهة . حتى تنتهى منها . آه ما أغبى معاشر الخدم عندنا !

المنظر السابع

سيلفيا ، ليزت

سيلفيا : إنى أجدك فى غاية البراعة ؛ لأنك لم تطردينه تواً ، ولأنك تتحملين مكانى فظاظة هذا الحيوان .

ليزت : سبحان الله ! يا سيدتى ، إننى لا أستطيع أن أمثل دورين فى الوقت نفسه ؛ فلا بد أن أظهر ، إما فى مظهر السيدة ، وإما فى مظهر الخادمة . أعنى إما أن أطيع وإما أن آمر .

سيلفيا : حسن جداً . ولكنه ما دام غير موجود معنا ، فاستمعى إلى باعتبار أننى سيدتك . فأنت ترين تماماً أن هذا الرجل لا يناسبنى إطلاقاً .

ليزت : لم يتوفر لديك الوقت لكى تفحصيه جيدا .

سيلفيا : هل أنت مجنونة بفحصك هذا ؟ وهل من الضرورى أن أراه مرتين لكى أحكم عليه بأنه غير مناسب ؟ وبالاختصار أنا لا أريده مطلقاً . ويبدو لى أن والدى لا يرضى عن نفورى منه ؛ لأنه يتحاشانى ولا يقول لى كلمة واحدة . وفى هذه

الظروف يجب عليك أن تخلصينى من هذا المأزق برفق . وذلك بأن تبينى لهذا الشاب بمهارة . أنك لا تشعرين بأى ميل للزواج منه .

ليزت : لن أستطيع ذلك يا سيدتى .

سيلفيا : أتقولين لن تستطيعى ؟ماذا يمنعك من ذلك ؟

ليزت : لقد منعنى منه السيد أرجون .

سيلفيا : أهو يمنعك من ذلك ! لم أعد أفهم هذا المسلك من جانب والدى !

ليزت : لقد منعنى منه منعاً باتاً .

سيلفيا : إذن . فأنا أكلفك أن تحيطيه علماً بأنواع تقززى . وأن تؤكدى له أنها لا تقهر . ولن أستطيع أن أقنع نفسى أنه سيريد بعد ذلك ، أن تجرى الأمور إلى أبعد من هذا .

ليزت : لكن سيدتى . ماذا تجدين فى خطيبك من صفات تنفر وتصدم إلى هذا الحد ؟

سيلفيا : قلت لك إنه لا يعجبنى ، كما لا يعجبنى قلة حماسك أيضاً .

ليزت : تمهلى قليلا حتى تعرفيه على حقيقته . وهذا هو كل ما نطلبه منك .

سيلفيا : إنى أكرهه بما فيه الكفاية ، ولست فى

حاجة لمزيد من الوقت حتى يتضاعف كرهى له .

ليزت : أليس من الممكن أن يكون خادمه ، الذى يتظاهر بأنه مهم ، هو الذى أفسد عقلك بخصوص سيده ؟

سيلفيا : لا تزيدى كلمة واحدة ! أيتها الحمقاء ! ما دخل خادمه فى هذه المسألة !

ليزت : ذلك أننى لا أثق فيه ، لأنه مفكر يميل إلى التروّى .

سيلفيا : كفى أحكاما ، فليست بنا حاجة إليها . وأنا حريصة على ألا يكلمنى هذا الخادم إلا فيما ندر ، وفى الكلام القليل الذى يوجهه إلىّ لم ينطق إلا بما هو معقول .

ليزت : أعتقد أن هذا الرجل يقص عليك قصصا خرقاء لكى يبهرك بذكائه .

سيلفيا : ألا يعرضنى تنكرى لسماع أشياء جميلة ؟ مع من تتكلمين ؟ ومن أين جاءك هذا الهوس عندما تتهمين هذا الشاب ، الذى لا دخل له فى شئ ، بأنه سبب هذه الكراهية . ذلك أنك تجبرينى فى نهاية الأمر على تبرير موقفه . والواقع أن هدفى

ليس فى الإيقاع بينه وبين سيده ، ولا فى أن أجعل منه خائناً . لكى أجعل من نفسى أنا الأخرى إحدى المعتوهات التى تستمع إلى حكاياته .

ليزت : عجباً ! يا سيدتى ، مادمت تدافعين عنه بهذه اللهجة ، وما دام هذا الدفاع يشتد إلى حد أن تغضبى فيجب أن أكف عن الكلام .

سيلفيا : ما دمت أدافع عنه بهذه اللهجة ! ما هذه اللهجة التى تخاطبيننى بها أنت نفسك ؟ وماذا تريدين بهذا الكلام ؟ وماذا يجول فى خاطرك ؟

ليزت : أقول ، يا سيدتى ، إننى لم أرك مطلقاً فى مثل هذه الحالة التى أنت فيها ، وإننى لا أفهم شيئاً عن سبب حدة غضبك . على كل حال إذا كان هذا الخادم لم يقل شيئاً فمن حسن الحظ ، ويجب ألا تغضبى حتى تبررى موقفه ، إنى أصدقك ، والأمر فى غاية البساطة ، وأنا شخصياً لا أعارض حسن رأيك فيه .

سيلفيا : ما هذه الروح الخبيثة ! عجبا إنك تحوّلين الكلام ، إنى أشعر بغيظ شديد ...

يكاد . . . يدفعنى إلى البكاء .

ليزت : من أى شىء تغضبين إذن يا سيدتى ؟ ماذا ترين فى كلامى من تلميح خبيث ،

سيلفيا : أترين أنى أفهم أى تلميح خبيث فيما تقولين ؟ هل أنا أتشاجر معك بشأنه ! أم ترين أنى أحسن الظن به ! إنك بذلك تسيئين الأدب نحو سيدتك . رأى حسن ! يالله السماء ! رأى حسن ! بأى شىء أجيب عن ذلك ؟ ما معنى هذا ؟ ومع من تتكلمين ؟ من الذى يكون فى مأمن مما يحدث لى ؟ إلى أى حد وصلنا ؟

ليزت : إننى لا أعرف شيئاً من كل ذلك ، ولكنى لن أفيق من الدهشة التى تسببينها لى إلا بعد وقت طويل .

سيلفيا : إن طريقتها فى الكلام تفقدنى صوابى . أخرجى من هنا ، أنا لا أطيق رؤيتك . اتركينى سوف إتخذ اجراءات أخرى .

المنظر الثامن

سيلفيا [وحدها]

سيلفيا : ما زلت أرتعد من الكلام الذى سمعته من فمها ! فبأى وقاحة يصدر الخدم أحكامهم علينا ! وإلى أى حد يحط هؤلاء الناس من قدرنا ! إننى لا أستطيع أن أفيق من أثر هذه الصدمة ، ولا أكاد أجرؤ على التفكير فى الألفاظ التى استخدمتها معى . إن الأمر على أية حال لا يتعلق إلا بخادم ، فلأستبعد هذه الفكرة التى عكرت بها هذه الوقحة خيالى . هاهوذا بورجونيون ، هاهو ذلك الشئ البسيط الذى من أجله خرجت عن طورى ، لكن ليس الخطأ خطأ هذا الشاب المسكين ! يجب ألا أنفس عن غضبى على حسابه .

المنظر التاسع

دورانت — سيلڤيا

دورانت : مهما تحاولى الابتعاد عنى ، فإنى مضطر إلى أن أكلمك ، وأعتقد أنه يحق لى أن أشكو منك .

سيلڤيا : بورجونيون يجب ألا نتخاطب مخاطبة الأليف للأليف ، أرجوك .

دورانت : كما تريدين .

سيلڤيا : ومع ذلك فأنت لا تقبل ما أريده منك .

دورانت : وأنت أيضاً لا تفعلين ، فأنت تقولين لى أرجوك بصيغة الألفة .

سيلڤيا : ذلك لأننى سهوت .

دورانت : حسناً ، صدقينى يجب أن نتحدث كما نستطيع ، ولا داعى إلى أن نضايق أنفسنا فى الفترة القليلة التى سيرى كل منا فيها صاحبه .

سيلڤيا : هل سيغادرنا سيدك ؟ لو فعل لما كانت هناك أية خسارة .

دورانت : ولا بالنسبة إلى أيضاً ، أليس كذلك ؟ إننى لا أفعل غير أن أكمل فكرتك .

سيلفيا : لو كنت أرغب فى ذلك لأكملت فكرتى بنفسى ، لكنى لا أفكر فيك .

دورانت : أما أنا فلا أتركك تغيبين لحظة واحدة عن عينى .

سيلفيا : اسمح لى يابورجونيون أن أقول لك بصفة نهائية ، ابق هنا أو اذهب ، أو عد مرة أخرى ؛ فإنه من الواجب ألا أكترث بشىء من هذا . وأنا غير مكترثة به فى الواقع ، ولا أريد لك خيراً ولا شراً . ولست أكرهك ولا أحبك ، ولن أحبك اللهم إلا إذا فقدت عقلى . ها هوذا موقفى منك ، ولن يسمح لى عقلى بأى موقف آخر ، وكان ينبغى أن أستطيع إعفاء نفسى من أن أقول لك هذا الكلام .

دورانت : لا يمكن أن تتصورى مقدار تعاستى . فلعلك بذلك تحكمين على بألا أجد للراحة طعماً فى حياتى .

سيلفيا : ما أغرب هذه الفكرة التى يديرها فى عقله ! إنه يثير عطفى . فلتتمالك نفسك فأنت تكلمنى وأنا أرد عليك . وهذا كثير ؛ بل أكثر مما يجب . وتستطيع

أن تصدقني فيما أقول ، ولو كنت متعلما حقيقة لكنت مسروراً مني ، ولوجدت أنه لامثيل لى فى طيبتى . وهى طيبة كنت ألوم عليها غيرى . ومع ذلك فإنى لاألوم نفسى على هذه الطيبة ، فإن أعماق قلبى تؤكد لى إننى أفعل شيئاً جديراً بالثناء . إنه كرم منى أن أكلمك . لكن يجب ألا يستمر ذلك ، فإن هذا الكرم لا يكون حسنا إلا بصفة عابرة ، وليس من طبيعتى أن أكون متأكدة على الدوام من براءة قصدى . وأخيراً فإن كلامى يشبه الهذيان . بورجونيون ، لنضع حدا لذلك . أرجوك . وإلا فما معناه ؟ إننا نسخر من أنفسنا . إذن يجب أن نتجنب الكلام فى ذلك .

دورانت : آه ! كم أقاسى من الألم يا عزيزتى ليزت !

سيلفيا : فلنعد إلى ما كنت تريد أن تقوله لى . كنت تشكو منى عندما دخلت . فما سبب هذه الشكوى ؟

دورانت : أشكو من لاشيء ، من شيء تافه ؛ لقد كنت أود أن أراك ، وأعتقد أن هذه

الشكوى لم تكن إلا وسيلة للحديث معك.

سيلفيا : [لنفسها] ما عسى أن أقول رداً على ذلك ، فلو أنى غضبت لما غيّر ذلك من الأمر قليلا أو كثيراً .

دورانث : يبدو لى أن سيدتك قد اتهمتنى ، وهى تغادرك ، بأننى تكلمت معك كلاماً ليس فى صالح سيدى .

سيلفيا : إنها تتخيل ذلك . وإذا هى حدثتك أنت أيضاً عن هذا الموضوع فسيكون فى وسعك أن تنكره بشجاعة ، وسأتكفل أنا بالباقى .

دورانت : آه ! ليس هذا هو ما يشغلنى .

سيلفيا : إذا لم يكن هناك شىء آخر تريد أن تكلمنى عنه ، فليس هناك ما يوجب علينا البقاء معا .

دورانت : اتركنى لى على الأقل أن أسعد برؤيتك .

سيلفيا : يا للعذر البديع الذى يقدمه لى ! سأكون ملهاة لغرام بورجونيون ! إن ذكرى هذه الأشياء ستضحكنى يوما ما كل الضحك .

دورانت : إنك تهزأين منى . وأنت على حق .

فأنا لا أعرف ماذا أقول ، ولا ماذا أطلب منك ، وداعاً !

سيلفيا : وداعاً ، لقد بدأت تحزم أمرك ... لكن بمناسبة كلمات الوداع ، مازلت أريد أن أعلم منك شيئاً: لقد قلت لى إنكم ستذهبون، أهذا أمر جدى ؟

دورانت : بالنسبة إلىّ يجب أن أتركـكم وإلا فقدت عقلى .

سيلفيا : لن أمنعك من الذهاب من أجل هذا الجواب . تأكد من ذلك .

دورانت : إننى لم أرتكب إلا خطأ واحداً ، وهو أننى لم أذهب بمجرد أن رأيتك .

سيلفيا : [لنفسها] إنى محتاجة فى كل لحظة أن أنسى أننى أستمع إليه .

دورانت : لو كنت تعلمين ، يا ليزت ، حرج الحالة التى أجد فيها نفسى ...

سيلفيا : عجباً ! ليست حالتك أدعى إلى الغرابة من حالتى ، إنى أؤكد لك ذلك .

دورانت : ما عسى أن تأخذيه علىّ ؟ فإنى لا أقصد مطلقاً أن أجعلك تقعين فى حبى .

سيلفيا : [لنفسها] ينبغي ألا أثق فيه .

دورانت : وما عسى أن آمل إذا حاولت أن أكون محبوباً ؟ وا أسفاه ! وحتى على فرض أنني استحوذت على قلبك . . .

سيلفيا : اللهم عفواً ! إنك لو استحوذت على قلبي ، فلن تعلم أنك استحوذت عليه ، وسأبذل كل جهدي لإخفاء ذلك جيداً إلى درجة ألا أعلمه أنا أيضاً . ماعساه أن يكون قد فكر ، يا ترى ؟

دورانت : إذن من الصحيح تماماً أنك لا تكرهيني ، ولا تحبيني ، ولن تحبيني .

سيلفيا : دون أية مشقة .

دورانت : دون أية مشقة ! إذن فأي شيء فظيع تجدينه فيّ ؟

سيلفيا : لا شيء ! ليس هذا هو ما يضيرك .

دورانت : حسناً ! يا عزيزتي ليزت . قولي لي إذن ، مائة مرة ، إنك لن تحبيني مطلقاً .

سيلفيا : أوه ! لقد قلته لك بما فيه الكفاية ، فحاول أن تصدقني .

دورانت : يجب أن أصدق ما تقولين ! اقتلي فيّ

هذا الغرام الخطير باليأس ؛ انقذينى من النتائج التى أخشى أن يؤدى إليها هذا الغرام ، أنت لا تكرهيننى ولا تحبيننى ولن تحبينى ؛ حطمى قلبى بهذا اليقين . إننى حسن النية فى مسلكى ، فقدمى إلىّ كل سلاح أستطيع به أن أقاوم نفسى ، إن هذا شىء ضرورى بالنسبة إلى ، وإنى أطلبه منك راكعاً .

[ثم يركع أمامها وفى هذه اللحظة يدخل السيد ارجون وماريو ، ولا ينطقان بكلمة]

المنظر العاشر

السيد أرجون — ماريو — سيلڤيا — دورانت

سيلڤيا : تلك هى الطامة الكبرى ! لم يكن ينقصنى فى مغامرتى سوى هـذه الطريقة . ما أشقانى ! إن تساهلى هو الذى وضعه فى هذا الموضع . فلتنهض إذن يابورجونيون ، أتوسل إليك أن تنهض . فمن الممكن أن يحضر شخص ما . سأقول لك ما يحلو لك . ماذا تريد منى ؟ إننى لا أكرهك أبداً ، انهض ، لو كان فى وسعى أن أحبك لأحببتك ، فأنا لا أشعر بالنفور منك مطلقاً ، وينبغى أن يكون ذلك كافياً لك .

دورانت : ماذا تقولين ! لو كنت شخصاً آخر بالبزت ، ولو كنت غنياً ومن طبقة بورجوازية ، وكنت أحبك مثلما أحبك الآن أكان قلبك لا يشعر بالنفور منى ؟

سيلڤيا : بكل تأكيد .

دورانت : كنت لا تكرهينى ؟ كنت تحتملينى ؟

سيلڤيا : بالطبع . لكن انهض .

دورانت : يبدو لى أنك جادة فى هذا القول ، وإذا كان الأمر كذلك فقد طار صوابى .

سيلفيا : إنى أقول لك ما يروقك أن تسمعه ، ولكنك لا تنهض أبداً .

السيد أرجون : [وهو يتقدم نحوها] إنها خسارة كبيرة ألا تستمرا فيما أنتما فيه ، فذلك يناسبكما بصورة بديعة يا ولدىّ ، تشجعاً .

سيلفيا : لن أستطيع منع هذا الشاب من أن يركع أمامى ياسيدى ، ولست فى حالة تسمح لى بأن ألزمه باحترامى ، فيما أعتقد .

السيد أرجون : كل منكما يليق بالآخر تماماً ، لكن أريد أن أقول لك كلمة ياليزت . وسوف تستأنفان محادثتكما ، بعد أن نذهب . هل تسمح لى بذلك يابورجونيون ؟

دورانت : سأنسحب ياسيدى .

السيد أرجون : فلتذهب ، ولتحاول أن تتكلم عن سيدك بشئ من الأدب أكثر مما تفعل .

دورانت : أنا يا سيدى !

السيد أرجون : نعم أنت بالذات يا سيد بورجونيون ، فإنه يقال إنك لست ممن يشار إليهم بالبنان فى احترامك لسيدك .

دورانت : لست أفهم ماذا يراد بهذا القول .

السيد أرجون : وداعاً ، وداعاً ، سوف تستطيع تبرير مسلكك فى فرصة أخرى .

المنظر الحادى عشر

سيلفيا ، السيد أرجون ، ماريو

السيد أرجون : والآن ، سيلفيا ، إنك تتحاشين النظر إلينا ، ويبدو عليك الاضطراب .

سيلفيا : أنا يا أبى ! فما عسى أن يكون الدافع على اضطرابى ؟ إنى بفضل الله فى حالتى العادية ، ويؤسفنى أن أقول لكم إن هذه مجرد فكرة لديكم .

ماريو : هناك شئ ما ، يا أختى ، هناك شئ ما .

سيلفيا : هناك شئ ما ، فى رأسك أنت ، لحسن الحظ يا أخى ، أما إذا كان فى رأسى شئ فإنه مجرد الدهشة مما تقول .

السيد أرجون : إذن فهذا الشاب الذى ذهب منذ لحظة هو الذى يوحى إليك بهذه الكراهية الشديدة التى تشعرين بها نحو سيده ؟

سيلفيا : من ؟ خادم دورانت ؟

السيد أرجون : بورجونيون الظريف .

سيلفيا : إن بورجونيون الظريف ، الذى كنت أجهل عنه هذا الوصف ، لا يحدثنى عن سيده .

السيد أرجون : ومع ذلك فهناك من يدّعى أنه يحط من

قدر سيده فى نظرك ، وهذا هو ما أردت أن أكلمك عنه .

سيلفيا : ليس هناك ما يدعو إلى ذلك يا أبى . فليس هناك أى شخص فى العالم جعلنى أشعر بالكراهية الطبيعية نحو سيده سوى هذا السيد نفسه .

ماريو : أعتقـــد يا أختى أنك مهما قلت فإن كراهيتك هذه شديدة جداً ، بحيث تبدو غير طبيعية ، ولا بد أن هناك من ساعد على شدتها .

سيلفيا : [بانفعال شديد] ما هـــذه اللهجة الغريبة الغامضة التى تقول لى بها ذلك الكلام يا أخى ؟ ومن هذا الذى ساعد على ذلك ؟ تكلم إذن !

ماريو : ماهذه الحالة العصبية التى أنت فيها يا أختى . كم تغضبين بعنف !

سيلفيا : ذلك أنى قد سئمت هذا الدور الذى أمثله ، ولولا أنى أخاف أن يغضب أبى لكشفت له عن حقيقة شخصى .

السيد أرجون : احذرى كل الحذر ، يا ابنتى ، أن تفعلى ذلك ، فإنى ماجئت إلى هنا إلا لكى

أوصيك بالاستمرار فى التنكر . فبما أنى كنت لطيفاً عندما سمحت لك بالتنكر فإنه يجدر بك ، من فضلك ، أن تكونى لطيفة بألا تتعجلى فى حكمك على دورانت ، وأن ترىْ إذا كانت الكراهية التى أوحى إليك بها بعضهم نحو هذا السيد لها ما يبررها .

سيلفيا : إذن أنت لم تنصت إلىّ مطلقا يا أبى ؟ إنى أقول لك أنه لم يوح إلى أحد بذلك .

ماريو : ماذا ! أليس هذا الثرثار الذى تركنا منذ لحظة هو الذى كان سببا إلى حد ما فى تنفرك من دورانت ؟ .

سيلفيا : ما أشد الحزن الذى تسببه لى أقوالكما ؟ إنه هو الذى نفرنى منه ! هأنذا أرانى عرضة لعبارات شديدة الغرابة ، ولم أعد أسمع إلا أشياء لم يسمع أحد بمثلها ؛ وإلا كلاما لا يمكن أن يتصوره إنسان : « يبدو علىّ الاضطراب ، هناك شئ ما » ثم إنه بورجونيون الظريف الذى جعلنى أنفر منه . هذا هو كل ما راق لكما أن تقولاه ، ولكنى لا أفهم منه شيئاً .

ماريو : فى هذه المرة ، أنت التى تبدين غريبة الأطوار . إذن من الذى أغضبك؟ وما السبب فى ظهورك بهذه الشدة ؟ وما الهدف الذى من أجله تشكّين فينا ؟

سلفيا : تذرع بالشجاعة يا أخى ! وقل لى بأى قدر محتوم لاتستطيع أن تنطق بكلمة إلا وتخدش بها كرامتى ؟ أى شك تريد أن يطرأ فى ذهنى ؟ هل أنت مصاب بهذيان ؟

السيد أرجون : الحقيقة أنك مضطربة كل الاضطراب ، إلى درجة أننى أنا الآخر لا أستطيع أن أفهمك . ويبدو أن هذه الانفعالات هى السبب فى أن لزت كلمتنا بتلك الطريقة التى رأيناها . فهى تتهم ذلك الخادم بأنه يتكلم معك بما يسىء إلى سيده . وقد قالت لنا إن « سيدتى » دافعت عنه بغضب شديد إلى درجة أننى ما زلت مندهشة من سلوكها» وقد أنبّناها على هذه الكلمة ، أعنى كلمة « مندهشة » . لكن هؤلاء الناس لا يعرفون ماذا يترتب على كلمة من الكلمات .

سيلفيا : الوقحـــة ! هل هناك من هو جدير

بالكراهية أكثر من تلك البنت !إننى أعترف أننى غضبت ،مدفوعة بروح العدل ، من أجل هذا الشاب .

ماريو : لا أرى أى ضرر فى هذا .

سيلفيا : هل هناك شىء أكثر بساطة من ذلك ؟ ثم ماذا ! ألأنى أتمسك بالإنصاف وأريد ألا يلحق أحد ضرراً بأحد من الناس ، وأرغب فى إنقاذ خادم من الضرر الذى يمكن أن يلحق به من جانب سيده ، أهذا كله يقال إننى أنفجر بالغضب والانفعال العنيف إلى الحد الذى يسبب دهشة ليزت ؟ ثم بعد ذلك بلحظة ، تبدأ تفكر بروحها الخبيثة ، نعم لابد أن أغضب ، ولابد أن أخرس لسانها ، وأن أقف ضدها بسبب تلك النتيجة التى ترتبت على قولها ! موقفى ! إذن أنا فى حاجة إلى من يدافع عنى ، ويبرر مسلكى ! إذن من الممكن أن تسيئوا تفسير ما أفعل ! لكن ما الذى فعلت ؟ وبأى تهمة تتهمونى ؟ أتوسل إليكما أن تخبرانى ، إن هذا أمر خطير . هل تلعبان

بى ؟ هل تسخران منى ؟ لم أعد أعرف معنى للراحة .

السيد أرجون : شيئاً من الهدوء .

سيلفيا : لا يا سيدى ، ليس هناك أى هدوء ممكن ، وكيف يمكننى أن أهدأ وأنا أسمع ألفاظاً مثل «دهشة» و«نتائج !» ماذا؟ لابد أن نتصارح ، فماذا يراد بهذا الكلام ؟ إنكم تتهمون هذا الخادم ، وأنتم تخطئون؛ إنكم كلكم على خطأ . فليزت مجنونة وهو برىء ، وهأنذا قد انتهيت من كل ما أريد أن أقوله . فلماذا إذن تفتحون هذا الموضوع مرة أخرى ؟ لقد أهنت فى كرامتى أشد إهانة !

السيد أرجون : تمالكى نفسك يا ابنتى ، كأنك ترغبين رغبة شديدة فى أن تتشاجرى معى أنا أيضاً . لكن علينا أن نفعل شيئاً أفضل من هذا ، ليس هناك من يثير الشكوك سوى هذا الخادم . فما على دورانت إلا أن يطرده .

سيلفيا : ما أشد تعاستى بسبب هذا التنكر؛ وعلى الأخص يجب على ليزت ألاتقترب منى ؛

إنى أكرهها أكثر من كراهيتى لدورانت نفسه.

السيد أرجون : سترينها ، إذا شئت ، لكن ينبغى أن تفرحى لذهاب هذا الشاب ؛ لأنه يحبك ، وهذا يضايقك دون شك .

سيلفيا : ليس لى أن أشكو منه ؛ فهو يعتقد أننى خادمة ، ويكلمنى على هذا الاعتبار ؛ لكنه لا يقول لى ما يريد ، لأنى أسيطر على الموقف .

ماريو : لست مسيطرة على الموقف كما تزعمين .

السيد أرجون : ألم نشاهده راكعاً أمامك رغماً عنك ؟ ألم تضطرى أن تقولى له إنك لا تشعرين نحوه بأى نفور ، لكى تجعليه ينهض من ركوعه ؟

سيلفيا : [على حدة] إننى أختنق !

ماريو : عند ما سألك عما إذا كنت تحبينه ، ألم تجدى نفسك مضطرة إلى أن تقولى بكل رقة « بالطبع » . ولولا ذلك لاستمر راكعاً حتى الآن .

سيلفيا : يا لها من ملاحظة موفقة يا أخى ! لكن لما كان هذا التمثيل ممجوجاً ، فإن إعادته من أكره الأمور . آه ماذا تقول ؟ كن

جاداً فى كلامك . متى ستنتهى هذه المهزلة
التى تلعبانها على حسابى ؟

السيد أرجون : إن الشيء الوحيد الذى أطلبه منك يا ابنتى ،
هو ألا تصممى على رفضه إلا بناء على
معرفة سبب هذا الرفض ، فانتظرى قليلا ،
وسوف تشكرينى على هذه المهلة التى
أطلب إليك قبولها ، وأنا واثق من ذلك .

ماريو : ستتزوجين دورانت ؛ بل ستتزوجينه
بسبب ميلك إليه ، وإنى أتنبأ لك بذلك...
لكن أسألك ، يا أبت ، أن تعفو عن الخادم .

سيلفيا : لماذا تسأل له العفو ؟ وأنا أريد أن يخرج .

السيد أرجون : إن سيده هو الذى سيحدد مصيره ،
فلنذهب .

ماريو : وداعاً ، وداعاً يا أختى ، ولكن بنفس
صافية !

المنظر الثانى عشر

سيلڤيا [وحدها] ، ثم دورانت [الذى يأتى بعد ذلك بقليل]

سيلڤيا : آه ! ما أشدما يشعر به قلبى من ضيق ! لا أدرى ما هذا الإحساس الغريب الذى يمتزج بالحيرة التى تضيق الخناق على نفسى ، إن هذه المغامرة كلها تحزننى . لم أعد أثق بأحد ممن حولى ، ولست راضية عن أحد ؛ بل حتى عن نفسى .

دورانت : آه ! لقد كنت أبحث عنك ، يا لبزت .

سيلڤيا : ليس هناك داع إلى أن تعثر علىّ ؛ فأنا شخصياً أهرب منك .

دورانت : [وهو يمنعها من الخروج] . انتظرى إذن يا لبزت ، سوف أتكلم معك لآخر مرة ، فالمسألة خاصة بشىء له نتائجه الخطيرة بالنسبة إلى سادتك .

سيلڤيا : اذهب لتحدثهم عن ذلك هم أنفسهم ، فما رأيتك مرة إلا وكنت سبباً فى حزنى ، فاتركنى .

دورانت : أستطيع أن أقول لك نفس هذا الشىء ، لكن استمعى إلىّ ، سترين أن الأمور

ستتغير تماماً بسبب ما سأقوله لك .

سيلفيا : حسناً فلنتكلم إذن ، إنى أستمع إليك ، مادام قد قدر لى أن يستمر لطفى معك إلى الأبد .

دورانت : هل تعدينى بكتمان السر ؟

سيلفيا : لم يتأت لى أن أفشى سر أحد قط .

دورانت : أنا لا أراك أهلا لهذه الثقة التى سأضعها فيك إلا بسبب تقديرى لك .

سيلفيا : أعتقد ذلك ، ولكن حاول أن تقدرنى دون أن تصرح لى بذلك ، لأن حديثك هذا تفوح منه رائحة التحايل لغرض ما .

دورانت : إنك تخطئين ياليزت ، لقد وعدتنى كتمان السر ، فلنته . إننى رأيتنى فى أشد حالات التأثر ؛ لأنى لم أستطع منع نفسى من حبك .

سيلفيا : ها نحن أولاء قد عدنا إلى الحديث عن الحب ، سأمنع نفسى كل المنع من الإنصات إليك ، وداعاً !

دورانت : لا تذهبى ، ليس بورجونيون هو الذى يتكلم معك .

سيلفيا : آه ! إذن من أنت ؟

دورانت : آه ، يا ليزت ، الآن ستستطيعين الحكم على الآلام التى قاساها قلبى .

سيلفيا : لست أتحدث إلى قلبك ، وإنما أتحدث إليك أنت .

دورانت : أليس هناك أحد قادم نحونا ؟

سيلفيا : لا .

دورانت : إن الحالة التى وصلنا إليها تجبرنى على أن أفشى لك هذا السر ، فإن كرم أصلى يحتم علىّ أن أوقف سير هذه الأمور .

سيلفيا : فليكن .

دورانت : اعلمى أن الرجل الذى يوجد مع سيدتك ليس هو الشخص الذى يظنونه .

سيلفيا : [بانفعال شديد] من هو إذن ؟

دورانت : إنه خادم ؟

سيلفيا : ثم ماذا ؟

دورانت : إنى أنا دورانت بالذات .

سيلفيا : [لنفسها] آه . أنى أرى قلبى يشعر بذلك فى وضوح تام .

دورانت : لقد أردت بتنكرى فى هذه الثياب أن أكشف قليلا عن حقيقة سيدتك قبل أن أتزوجها ، وقد سمح لى والدى وقت سفرى أن أفعل ما فعلت ، ولكن النتيجة التى تكشف عنها هذا الأمر بدت لى وكأنها

حلم . فأنا أكره سيدتك التى كان يجب أن أكون زوجها، وأحب التابعة التى كان يجب ألا تجلنى فىّ إلا سيداً جديداً . فماذا يجب أن أفعل الآن ؟ إنى أحمر خجلا من أجلها حين أقول ذلك ، لكن سيدتك لا تمتاز بشئ من رهافة الحس إلى درجة أنها أصبحت متيمة بخادمى ، ولن تحجم عن الزواج منه إذا ترك لها الحبل على الغارب فأى خطة نتبع ؟

سيلفيا : [لنفسها] فلأخف عنه شخصيتى [بصوت مرتفع] إن وضعك هذا وضع جديد بالتأكيد ! لكنى يا سيدى أقدم لك أولا ، وقبل كل شئ ، معذرتى عن كل ما احتوى عليه كلامى معك من أشياء غير مهذبة .

دورانت : لا تنطقى بهذا الكلام ياليزت . إن اعتذارك هذا يحزننى ، لأنه يذكرنى بالفارق الذى يفصل بيننا ، ويجعل هذا الفارق أكثر إيلاماً لنفسى .

سيلفيا : هل أنت جاد فى ميلك إلىّ ؟ هل تحبنى إلى هذه الدرجة .

دورانت : إلى درجة أنى عدلت عن كل صلة غرامية ، ما دام غير مسموح لى أن أربط مصيرى بمصيرك ، وفى هذه الحالة ستكون المتعة الوحيدة التى أستطيع أن أتذوقها هى أن أعتقد أنك لم تكرهينى .

سيلفيا : لا شك أن القلب الذى اختارنى فى المركز الذى أنا فيه قلب جدير بكل قبول ، وكان يسرنى أن أقدم قلبى قربانا له ، لو لم أخشى أن أربط ذلك القلب برباط قد يكون سبباً فى إلحاق الضرر به .

دورانت : ألا يكفيك ما أنت عليه من فتنة بالزت ؟ أمن الضرورى أن تضيفى إليه هذا النبل الذى تتحدثين به معى ؟

سيلفيا : إنى أسمع وقع أقدام . فأجّـــل مسألة خادمك بعض الوقت ، فلن تجرى الأمور بمثل هذه السرعة ، وسيرى كل منا الآخر ، وسنحاول الوصول إلى وسيلة لإخراجك من هذا المأزق .

دورانت : سأتبع نصائحك [ويخرج]

سيلفيا : هيّا . لقد كنت فى أشد الحاجة أن يكون هو دورانت .

المنظر الثالث عشر

سيلفيا — ماريو

ماريو : جئت أبحث عنك يا أختي . فقد تركناك في حيرة تحز في نفسي ، إني أريد أن أخلصك منها ، انصتي إليّ .

سيلفيا : [بحدة] آه ! حقيقة يا أخي ، إذن هناك أخبار أخرى كثيرة !

ماريو : ماذا جرى لك ؟

سيلفيا : إنه ليس بورجونيون يا أخي ، وإنما هو دورانت .

ماريو : عن أيهما تتكلمين إذن ؟

سيلفيا : أكلمك عنه ، لقد علمت ذلك منذ اللحظة ، إنه خرج ، وهو الذي قال ذلك بنفسه

ماريو : من هو إذن ؟

سيلفيا : أنت إذن لا تفهمني ؟

ماريو : إذا كنت قد فهمت شيئاً فإني أفضل الموت.

سيلفيا : تعال ، ولنخرج من هنا ، ولنذهب لنجد أبي ، فمن الواجب أن يعلم الأمر ، وسأحتاج إليك أيضاً يا أخي . لقد خطرت

بذهني أفكار جديدة ، ويجب أن تتظاهر بأنك تحبني . لقد سبق أن قلت شيئاً من ذلك على سبيل المزاح ، ولكن عليك أن تكتم السر بصفة خاصة أرجوك .

ماريو : طبعاً سأكتمه تماماً ، لأني لا أعرف هذا السر .

سيلفيا : هيا بنا ، تعال يا أخي ، يجب ألا نضيع دقيقة واحدة . لم يحدث قط شيء مماثل لهذا .

ماريو : بحق السماء أرجو ألا تسيئي التصرف .

المنظر الأول

دورانت ، أرلكان

أرلكان : وا أسفاه ! يا سيدى ، يا سيدى المحترم كل الاحترام ، إنى أستحلفك .....

دورانت : ماذا أيضاً !

أرلكان : شفقة بمغامرتى السعيدة ، ولا تفسد على سعادتى التى تركض فى طريقها بهمة ونشاط ، لاتسد الطريق أمامها .

دورانت ، مهلا إذن أيهـا البائس ، أعتقد أنك تسخر منى ، وأنك تستحق مائة ضربة بالعصا .

أرلكان : أنا لا أرفضها مطلقاً ، إذا كنت أستحقها ، ولكنى بعد أن أضرب مائة عصا أرجو أن تسمح لى بأن أكون أهلا لغيرها . هل تريد أن أذهب لأبحث عن العصا ؟

دورانت : أيها الخبيث !

أرلكان : خبيث ! فليكن ، لكن هذا لا يتنافى مع تحقيقى لثروتى .

دورانت : هذا الوغد ! أى خيال يستحوذ عليه !

أرلكان : لا بأس أيضاً بكلمة وغد ؛ فهى تناسبنى أيضاً ، فالخبيث لا يضيره أن يسمى وغداً ، لكن الوغد يستطيع أن يتزوج زواجاً طيباً .

دورانت : كيف تريد منى أيها الوقح أن أترك رجلا نبيلا يقع فى الخطأ ، وأن أحتمل زواج ابنته من شخص متخف وراء اسمى ؟ اسمع . إذا حدثتنى مرة أخرى بهذه الوقاحة ، فإننى سأطردك . بمجرد أن أحذر السيد أرجون . هل فهمت ؟

أرلكان : يجب أن نتفق فيما بيننا ؛ إن هـذه الآنسة تقدسنى ، إنها تعبدنى ؛ فإنى ، إن كشفت لها أمرى على أننى خادم ، وعلى الرغم من ذلك استمر قلبها الغض متعطشاً دائماً إلى الزواج بى ، أفلن تحضر حفلة زواجنا ؟

دورانت : بمجرد أن يعرفوا حقيقتك سيصبح الأمر غير ذى موضوع .

أرلكان : حسناً ، سأذهب فوراً لكى أخبر هذه الفتاة الكريمة بمركزى الحقيقى . وأرجو ألا تكون ثيابى كخادم هى التى ستؤدى إلى عدم اتفاقنا ؛ وأن يؤدى حبى لها إلى أن ترفع مرتبة الخادم الذى يقف أمام صوان الشراب إلى مرتبة السيد الذى يجلس إلى المائدة .

المنظر الثانى

دورانت [وحده] — ثم ماريو

دورانت : إن كل ما يجرى هنا ، وكل ما يحدث لى أنا ، شئ لا يمكن تصديقه . ومع ذلك فإنى أرغب كل الرغبة فى رؤية ليزت ، وأن أعرف نتيجة ما وعدتنى بأن تفعله لدى سيدتها ، لكى تخرجنى من هذه الورطة. فلأذهب لأرى إذا كنت أستطيع العثور عليها منفردة .

ماريو : قف يابورجونيون ، أريد أن أحدثك بكلمة .

دورانت : أى خـــدمة تريد منى أن أقدمها لك يا سيدى ؟

ماريو : هل تغازل ليزت ؟

دورانت : إنها لطيفة جداً إلى درجة أنه يصعب على أى إنسان ألا يحدثها عن الحب .

ماريو : كيف تقابل هى ما تقوله لها ؟

دورانت : إنها تمزح منه يا سيدى .

ماريو : إنك تحسن الدعابة ، ألست تحاول خداعى ؟

دورانت : لا ، لكن ما دخلك فى هذه المسألة ؟ فلنفرض أن ليزت تحس بميل نحوى ....

ماريو : ميل نحوه ! من أين تأخذ ألفاظك ؟ إن لغتك شديدة الافتعال بالنسبة إلى شاب من نوعك .

دورانت : يا سيدى ، أنا لا أستطيع أن أتكلم بطريقة أخرى .

ماريو : يبدو لى أنك تتقرب إلى قلب ليزت بمثل هذه العبارات القصيرة الرقيقة المرهفة ؟ فأنت تحاول أن تقلد الرجل صاحب الحسب .

دورانت : أؤكد لك يا سيدى أننى لا أقلد أحدا ، لكن لا أظن أنك حضرت خصيصاً لكى تصفنى بأننى أبعث على السخرية ، ألم يكن لديك شئ آخر تريد أن تقوله لى ؟ لقد كنا نتحدث عن ليزت ، وعن ميلى إليها ، وعن الاهتمام الذى تبديه نحوها .

ماريو : عجبا ! كيف تقول هذا ؟ إن ردك على على ينطوى على شئ من الغيرة ، خفف من حدتك قليلا . حسنا ! كنت تقول لى لنفرض أن ليزت تشعر بميل نحوك . . . ثم ماذا ؟

دورانت : لماذا تطلب أن تعلمه يا سيدى ؟

ماريو : آه ! هذا هو بيت القصيد ، ذلك لأنى على الرغم من لهجة المزاح التى كنت أتكلم بها منذ قليل ، سأغضب أشد الغضب لو ثبت أنها تحبك ، والسبب الوحيد فى ذلك أنى أمنعك من أن توجه إليها الكلام بعد الآن ، والواقع أن هذا الأمر لا يرجع إلى أنى أخشى حبها لك ، فإنه يبدو لى أن قلبها أسمى من ذلك بكثير ؛ ولكن لأنه لا يعجبنى أنا شخصيا أن يكون بورجونيون منافسا لى فى حبها .

دورانت : الحقيقة أننى أصدقك فيما تقول ، لأن بورجونيون ، مهما كانت صفته ، هذا البورجونيون لا يسره أن تكون أنت منافسا له .

ماريو : سوف يرجع إلى صوابه .

دورانت : من الواجب أن يرجع إلى صوابه ، لكن هل تحبها كثيرا يا سيدى ؟

ماريو : حبا يكفى لأن أتشبث بها حتى أتخذ بعض الإجراءات . هل تفهم ما معنى ذلك ؟

دورانت : نعم أعتقد أننى أدرك حقيقة الموضوع .

وعلى هذا الأساس ، تعتقد أنها تحبك دون شك ؟ .

ماريو : ما رأيك فى هذا الأمر ؟ هل أستحق أن أكون محبوبا ؟.

دورانت : لعلك لا تنتظر من منافسيك أن يمدحوك .

ماريو : هذا رد معقول ، وأنا اغتفره لك ؛ ولكنى فى غاية الأسى إذ لا أستطيع أن أعترف بأن أحداً يحبنى ؛ ولاأقول لك ذلك لكى أعرفك حقيقة الأمر كما تظن ، لكن لأنه لابد من أن أقول الحق .

دورانت : أنت تثير دهشتى ياسيدى . هل تجهل ليزت نواياك إذن ؟

ماريو : إن ليزت تعلم كل الخير الذى أريده لها ، ويبدو أنها لا تكترث بذلك ، لكنى أرجو أن يتغلب عقلها على قلبها . وداعا ، وعليك أن تنسحب دون ضجة . إن عدم اكتراثها بى يجلى الرغم من كل ما أقدم لها ، سوف يغريك بالتظاهرة التى سأقدم عليها من أجلى ... إن ملابس الخدم التى ترتديها ليس من شأنها أن ترجح كفة الميزان فى صالحك ، وأنت لم تخلق لكى تتدخل فى صراع ضدى ،

المنظر الثالث

سيلفيا — دورانت — ماريو

ماريو : آه ! ها أنت ذى ياليزت ؟

سيلفيا : ماذا بك ياسيدى ، إنك تبدو لى شديد التأثر .

ماريو : ليس الأمر أية أهمية ، كنت أقول كلمة لبورجونيون .

سيلفيا : إنه حزين ، هل كنت تعنّفه ؟

دورانت : لقد أخبرنى سيدى أنه يحبك يا ليزت .

سيلفيا : ليس الذنب ذنبى .

دورانت : وهو يمنعنى من أن أحبك .

سيلفيا : إذن هو يمنعنى أن أكون رقيقة معك ؟

ماريو : لا أستطيع أن أمنعه من حبك ، ياليزت الحسناء ، لكنى لا أريد أن يقول لك إنه يحبك .

سيلفيا : إنه لم يعد يقول لى ذلك ؛ إنه لا ينقطع عن تكراره .

ماريو : على الأقل عليه ألا يكرره عندما أكون موجودا ، انصرف يابورجونيون .

دورانت : إنى أنتظر أن تأمرنى هى بذلك .

ماريو : أيضاً !

سيلفيا : إنه يريد أن ينتظر ، فعليك بالصبر إذن .

دورانت : هل تشعرين بميل نحوى يا سيدى ؟

سيلفيا : ماذا تقول ! الحب ؟ عجبا ! أعتقد أنه لن يكون من الضرورى أن يمنعنى أحد من الحب .

دورانت : ألا تخدعيننى ؟

ماريو : حقا ، إنى أمثل هنا شخصية بديعة ! فليخرج إذن ! مع من أتكلم ؟

دورانت : مع بورجونيون ، هذا كل مافى الأمر .

ماريو : حسنا فلتذهب .

دورانت : [لنفسه] إنى أتألم .

سيلفيا : يجب أن تتراجع ، مادام غاضبا .

دورانت : [بصوت منخفض لسيلفيا]
ربما كنت تتمنين ذلك أنت أيضاً ؟

ماريو : هيا ، ولنتته من ذلك .

دورانت : لم تحدثينى عن هذا الحب ياليزت .

المنظر الرابع

السيد أرجون — ماريو — سيلفيا

سيلفيا : إذا كنت لا أحب هذا الرجل فلنعترف بأنى سأكون جحودة كل الجحود .

ماريو : [يضحك] ها ! ها ! ها ! ها !

السيد أرجون : من أى شيء تضحك يا ماريو ؟

ماريو : من غضب دورانت الذى خرج ، والذى أرغمته على ترك ليزت .

سيلفيا : لكن ماذا قال لك فى الحديث القصير الذى دار بينكما على حدة ؟

ماريو : لم أر أبداً رجلا مثله ركبته الهموم ، واضطرب مزاجه إلى هذا الحد .

السيد أرجون : لا يؤسفنى أن يكون ضحية الخطة التى دبرها هو بنفسه ، هذا إلى أننا لو نظرنا إلى المسألة نظرة دقيقة : فلن نجد هناك شيئاً أكرم ، أو أدعى إلى رضائه ، من كل ما فعلت حتى الآن يا ابنتى ، ولكن كفى كلاماً فى هذا الموضوع .

ماريو : لكن ما موقفه الآن على وجه الدقة يا أختى ؟

سيلفيا : وا أسفاه يا أخى ، إنى أعترف لك بأن هناك ما يدعو إلى سرورى .

ماريو : تقولين وا أسفاه يا أخى ! فهل تشعرين بهذا الهدوء العذب الذى يمتزج بما تقولينه ؟

السيد أرجون : ماذا تقولين ! هل يكفيك يا ابنتى أنه سيذهب إلى حد أن يطلب منك الزواج فى هذه الثياب التى تنكرت فيها ؟

سيلفيا : أى نعم ، يا والدى العزيز ، إنى آمل ذلك .

ماريو : ما أشد مكرك وخبثك عند ما تقولين يا والدى العزيز ! فالآن لم تعودى تلومينا ، بل تقولين لنا كلاماً يقطر حلاوة .

سيلفيا : إنك تؤاخذنى على كل صغيرة وكبيرة .

ماريو : ها ! ها ! إنى أنتقم لنفسى ، فقد كنت منذ قليل تتعنتين فى تفسير عباراتى ، فلا بد لى الآن من أن أتفكه بتعبيراتك . فسرورك يسلينى تماماً ، كما كان يسلينى قلقك .

السيد أرجون : لن تجدى سبباً يدعوك إلى الشكوى منى يا ابنتى ، فأنا أوافق على كل ما يحلولك .

سيلفيا : آه يا سيدى ، لو كنت تعلم مقدار ما أنا مدينة به لك ! إننا ودورانت قد خلق

كل منـــا للآخر ، ومن الواجب أن يتزوجنى ، آه لو كنت تعلم كم سأقدر له ما فعله اليوم من أجلى ، وكم سيحتفظ له قلبى بذكرى هذه الرقة الشديدة التى يبديها نحوى ، ولو كنت تعلم إلى أى حد سيكون ذلك سبباً فى جعل زواجنا جديراً بالحب ! إنه لن يستطيع أن يتذكر قصتنا دون أن يزداد لى حباً ، ولن يدور فى خلدى مطلقاً أن أكف عن حبه . لقد كفلتَ لنا السعادة الأبدية ، عندما تركتنى أعرفه وأنا متنكرة ، إنه زواج فريد فى نوعه ، إنها مغامرة تكفى قصتها وحدها فى أن تشيع العذوبة والحنان ، إنها أغرب ضربات الحظ وأسعدها وأكثرها ...

ماريو : ها ! ها ! ها ! ما أشد ثرثرة قلبك يا أختى ، ما هذه الفصاحة كلها !

السيد أرجون : يجب الاعتراف بأن اللذة التى تستمتعين بها لذة فاتنة ، وخصوصاً إذا أنت أكملتيها .

سيلفيا : هـــذا هو ما تم بالفعل ، فقد هزم دورانت ، وأنا الآن فى انتظار أسيرى

ماريو : إن قيوده الحديدية ستكون مذهبة أكثر

مما يظن ، ولكنى أعتقد أنه يعانى ألماً نفسياً ، وأشعر بالشفقة من أنه يتألم .

سيلفيا : إن الألم الذى يقاسيه ، حتى يصل إلى قرار ، يرفع من قدره فى نفسى . فهو يفكر فى أنه سيحزن والده لو تزوجنى ، ويعتقد أنه يتنكر لثروته ولأسرته . تلك هى موضوعات كبرى لتفكيره ، وسأكون سعيدة جداً لانتصارى . ولكن يجب أن أنتزع هذا النصر لا أن يقدمه لى هو ، فأنا أريد معركة بين الحب والعقل .

ماريو : وأن يُقتل العقل فى هذه المعركة .

السيد أرجون : معنى ذلك أنك تريدين أن يشعر بكل نتائج الحماقة التى يعتقد أنه يرتكبها . إن اعتزازك بنفسك لا يقف عند حد ، يا بنيتى ! .

سيلفيا : نعم ، فهو اعتزاز امرأة بنفسها ، وهو شئ طبيعى جداً . هذه هى الحقيقة

المنظر الخامس

السيد أرجون ، سيلفيا ، ماريو ، ليزت

السيد أرجون : هدوءاً ، ها هى ذى ليزت ، فلننظر ماذا تريد منا .

ليزت : لقـــد قلت لى ياسيدى فيما مضى إنك ستترك لى دورانت ، وإنك ستقدم إلى رأسه أفعل به ما أريد . وقد فهمت هذا فهما حرفياً ، واشتغلت لحسابى الخاص ، وسترى أننى قمت بعمل طيب جداً ، تأكد أنه رأس قد صنعته صناعة جيدة . فماذا تريد أن أفعل به الآن ؟ هل ستتنازل عنه سيدتى من أجلى ؟

السيد أرجون : وأنت يا ابنتى أكرر لك مرة أخرى : أليس لك فيه مطمح ما ؟

سيلفيا : لا ، أنا أعطيه لك ياليزت ، وأتنازل لك عن جميع حقوق فيه ، ولكى أقول مثل ماتقولين ، فأقرر أنى لن أشارك أحداً فى قلب لم أصنعه أنا بنفسى .

ليزت : ماذا ؟ هل تريدين حقيقة أن أتزوجه ؟ وسيدى هل يريد ذلك أيضاً ؟

السيد أرجون : أى نعم ، فليوطن نفسه على ذلك ! وإلا فلماذا يحبك ؟

ماريو : وأنا أيضا موافق .

ليزت : وأنا موافقة أيضاً ، وأشكركم جميعاً على موافقتكم .

السيد أرجون : انتظرى ، فمع أنى موافق ، فإنى أشترط شرطاً بسيطاً ، وهو أنه ينبغى أن تقولى له شيئا قليلا عن حقيقتك ، لكى نبرئ أنفسنا من تبعة ماقد يحدث فيما بعد .

ليزيت : لكن لو قلت له شيئاً قليلا لعرف الأمر كله .

السيد أرجون : حسنا ؟ ألا يتحمل هذا الرأس المتين تلك المزة الصغيرة ؟ أنا لا أعتقد أن طبيعته تسمح له بأن يصاب بالذعر لهذا السبب .

ليزيت : ها هوذا يبحث عنى ، فلتتكرموا بأن تتركوا لى الميدان خاليا ، فالأمر يدور حول أروع جزء من عملى !

السيد أرجون : أنت على حق ، فلننسحب .

سيلفيا : من كل قلبى .

ماريو : فلننصرف .

المنظر السادس

ليزت ـ أرلكان

أرلكان : وأخيراً ، يا مليكتى هأنذا أراك ، ولن أتركك بعد ذلك ، وذلك لأنى قاسيت أكثر مما يطاق لحرمانى من وجودك ، وقد اعتقدت أنك تهربين من وجودى .

ليزت : يجب أن أعترف لك ياسيدى أنه كان هناك شيء ما .

أرلكان : ماذا ! إذن يا روحى العزيزة . يا أكسير قلبى ، هل انتويت أن تضعى نهاية لحياتى ؟

ليزت : لا ، يا عزيزى ، إن حياتك شيء ثمين جداً بالنسبة إلىّ .

أرلكان : آه ! كم أستمد القوة من هذه الكلمات !

ليزت : ويجب ألا تشك فى حنانى .

أرلكان : كم أرغب بشدة فى أن أقبّل هذه الكلمات الصغيرة ، وأن ألتقطها بشفتى من على شفتيك .

ليزت : كنت تستعجلنى بشأن زواجنا . ولم يكن أبى قدسمح لى بعد بأن أجيب على طلبك ، وقد كلمته منذ قليل ، وحصلت على

موافقته بأن أقول لك إنك تستطيع أن تطلب يدى للزواج عندما تريد .

أرلكان : اسمحى لى أن أطلبها منك قبل أن أطلبها منه ، فإنى أريد أن أقدم لها شكرى على تكرمها برغبتها فى أن تضع نفسها فى يدى التى هى غير جديرة بها حقيقة .

ليزت : لن أرفض أن أعطيها لك لحظة ، بشرط أن تأخذها إلى الأبد .

أرلكان : أيتها اليد الصغيرة البضة المكتنزة ، إنى آخذك دون مساومة ، وأنا على استعداد لقبول الشرف الذى ستخلعينه علـى ، وليس هناك شيء يحيرنى سوى الشرف الذى يجب أن أقدمه فى مقابلته .

ليزت : ستخلع علىّ من الشرف أكثر مما يجب .

أرلكان : آه ! لا . إنك لاتعرفين هذا الحساب جيداً كما أعرفه أنا .

ليزت : ومع ذلك ، فإنى أعتبر حبك لى نعمة من السماء .

أرلكان : إن النعمة التى وهبتك إياها السماء لن تكون سبباً فى إفلاسها ؛ فهى نعمة تافهة.

ليزت : إنى أجدها نعمة عظيمة جداً .

أرلكان : إن السبب فى ذلك هو أنك لا تريها فى وضح النهار .

ليزت : إنك لا تعلم مقدار الارتباك الذى يسببه لى تواضعك .

أرلكان : لا تبالغى فى إظهار ارتباك ، فلو لم أكن متواضعاً لكنت شديد التبجح .

ليزت : عجباً يا سيدى ، أليس من الواجب أن أقول لك إن حبك يغمرنى بالشرف ؟

أرلكان : آه . آه ! لم أعد أعرف أين أضع نفسى .

ليزيت : إنى أكرر لك مرة أخرى ، يا سيدى ، إننى أعرف نفسى .

أرلكان : آه ! وأنا أيضاً أعرف نفسى جيداً ، وهى ليست بالمعرفة المشرفة لى ، ولا لك أيضاً حين تتحققين منها . لكن من الصعب جداً أن تعرفى من أنا ، لأنك لا تعرفين خفايا الأمور .

ليزت : [لنفسها] إن كل هذه الإسفاف ليس طبيعياً [بصوت مرتفع] لماذا تقول لى ذلك ؟

أرلكان : آه ! ها هو ذا موطن السر ؟

ليزت : وماذا هناك هنا أيضاً . إنك تثير قلقى ألست أنت . . .

أرلكان : آه ! آه إنك تنزعين عنى غطائى .

ليزت : علينا أن نعلم حقيقة الأمر .

أرلكان : [لنفسه] علينا أن نمهّد لهذه المسألة .
[بصوت مرتفع] سيدتى هل حبك .
لى متين البنيان ؟ وهل يستطيع أن يتحمل التعب الذى سأسببه له ؟ وهل يخاف من المأوى الردىء ؟ إننى سأنزله مأوى حقيراً

ليزت : آه ! أنقذنى من الحيرة . قل لى بالاختصار من أنت ؟ .

أرلكان : أنا . . . ألم ترى قط نقوداً مزيفة ؟ هل تعرفين ما هو الجنيه الذهبى المزيف ؟ حسناً إنى شبيه بذلك شبهاً شديداً .

ليزت : أكمل إذن ما تقول . ما اسمك ؟

أرلكان : اسمى ؟ [لنفسه] هل أقول لها إن اسمى هو أرلكان ؟ لا ، فإنه يكاد يكون اسما لأحد الصعاليك .

ليزت : إنى انتظر !

أرلكان : آه يا سيدتى ، هنـــاك ما يدعو إلى الاستمرار فى الكلام بعض الشئ . هل تكرهين أن يكون المرء جندياً ؟

ليزت : ماذا تريد بكلمة جندى ؟

أرلكان : أى نعم . مثلا جندى يحرس مدخل الغرف الداخلية .

ليزت : جندى لمدخل الغرف ! إذن ليس هو دورانت الذى أتكلم معه .

أرلكان : إن دورانت هو قائدى .

ليزت : أيها الصعلوك !

أرلكان : لم أستطع أن أتلافى الوصف الذى يتناسب مع اسمى .

ليزت : لكن انظروا معى إلى هذا القرد ، انظروا !

أرلكان : يالجمال الورطة التى وقعت فيها !

ليزت : منذ ساعة وأنا أتمنى رضاه ، وأبذل كل جهدى فى التذلل إليه ، هذا الحيوان .

أرلكان : أسفا ! ياسيدتى ، إن كنت تفضلين الحب على المجد ، فإنك ستكسبين من حبى مثلما تكسبين من حب سيد من الأسياد .

ليزت : [تضحك] ها ! ها ! ها ! ومع هذا ، فإنى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك منك ومن ذلك المجد الذى تتحدث عنه ! لم يعد ينقصنى سوى ذلك . . . حسنا ، حسنا . إن مجدى قد عفا عنك فإنه يمكن تهدئته بسهولة .

أرلكان : هل هذا عفو أكيد يا سيدتى ؟ آه . ما أجدر حبى أن يعترف لك بالجميل !

ليزت : تنبه إلى ما سأقول لك يا أرلكان . لقد

ظننت أنك خدعتني . إن الجندي الذي يحرس غرفة سيده كفء تماماً لتلك التي تسهر على زينة سيدتها .

أرلكان : التي تسهر على زينة سيدتها !

ليزت : إنها قائدتي أو شيء من هذا القبيل .

أرلكان : يا لك من ماكرة !

ليزت : انتقم لنفسك .

أرلكان : لكن انظروا معي إلى هذه القردة ، التي اعترف لها منذ ساعة بسوء حالي !

ليزت : فلنرجع إلى الواقع . هل تحبني ؟

أرلكان : نعم ، فإننا لم نغير وجوهنا ، وإن كنا قد غيرنا أسماءنا . وأنت تعلمين تماماً أننا تعاهدنا على الوفاء ، رغم كل الأخطاء التي قد نقع فيها .

ليزت : مهلا ، ليس الضرر كبيراً ، فلنعز أنفسنا . ويجب أن نتظاهر بأنه لم يحدث أي شيء ، وألا نثير ضحك أحد علينا . والظاهر أن سيدك مازال مخطئاً فيما يتعلق بسيدتي ، فلا تنبهه إلى شيء ، ولنترك الأمور كما هي . أعتقد أني آراه قادماً . سيدي ، إنني خادمتك .

أرلكان : وأنا خادمك يا سيدتي [يضحك] ها ! ها ! ها !

المنظر السابع

دورانت — أرلكان

دورانت : حسنا ، لقد تركت ابنة أرجون ، هل قلت لها من أنت ؟

أرلكان : نعم . يالطفلة المسكينة ! لقد وجدتُ قلبها أكثر رقة من قلب الحمل ، فلم تحتج على شيء . وعندما قلت لها إن أسمى أرلكان ، وإنى ألبس ثياب التابع لقائده قالت لى : « حسنا ياصديقى . لكل إنسان اسمه فى الحياة ، ولكل ثيابه . وهذه الثياب لاتكلفك شيئا » . وذلك كلام لا يخلو من رشاقة .

دورانت : ما هذه القصة الخيالية التى تحكيها لى ؟

أرلكان : إنها خيالية إلى درجة أننى سأطلبها للزواج .

دورانت : كيف ؟أترى أنها توافق على أن تتزوجك ؟

أرلكان : ها هى ذى قد أصيبت بداء الحب إصابة بالغة !

دورانت : أنت تخدعنى ، إنها لا تعرف من أنت .

أرلكان : يا سبحان الله . هل تراهن على أننى سأتزوجها وقفطان الخدم على جسمى ، أو عباءة السائس إذا أنت أغضبتنى ؟ وأنا حريص جداً على أن تعلم أن حبا

مثل حبي لا يمكن أن يتحطم ، وأنني لست فى حاجة إلى ملابساك البالية حتى أشق طريقى ، وما عليك إلا أن ترد إلىّ ملابسى .

دورانت : أنت رجل غشاش ، وهذا شئ لا يمكن تصوره ، ولابد من تحذير السيد أرجون .

أرلكان : من ؟ والدنا ؟ آه ! ياله من رجل طيب ! إنه فى جيبنا . إنه إنسان كامل ، إنه أطيب الناس عنصرا ... وستعلم أخباره بعد قليل .

دورانت : ما أغرب أطوارك ! هل رأيت لزت ؟

أرلكان : لزت ؟ لا ، لعلها مرت أمام عينى ، ولكن رجلا شريفاً مثلى لا يعلق أية أهمية على خادمة . إنى أتنازل لك عن نصيبى فى الاهتمام بها .

دورانت : اذهب عنى ، فإن فى رأسك بعض الخبل

أرلكان : إن أساليب سلوكك ليست بالصعبة ، ولكن الفضل فى ممارستك لها يرجع إلى شدة اختلاطك بالناس ، وداعا . ومتى تزوجت فسنصبح أنا وأنت على قدم المساواة . إن خادمتك قادمة ، صباح الخير يالزت . إنى أوصيك ببورجونيون ، فهو شاب لا يخلو من بعض المزايا .

المنظر الثامن

دورانت — سيلڤيا

دورانت : [لنفسه] إنها جديرة بالحب ! فهل كان من الضرورى أن يسبقنى ماريو إلى حبها ؟

سيلڤيا : أين كنت إذن يا سيدى ؟ فمنذ تركت ماريو لم أستطع العثور عليك . حتى أخبرك بما قلته للسيد أرجون .

دورانت : ومع هذا فإنى لم أكن بعيداً . لكن ماذا حدث ؟

سيلڤيا : [لنفسها] أى فتور ! [بصوت مرتفع] على الرغم من شدة احتقارى لخادمك ، وإشعاره بأنه لا قيمة له . وعلى الرغم من أننى شرحت له أنه من الممكن أن يؤجل الزواج ، فإنه لم يحاول حتى أن يستمع إلىّ ؛ بل إننى أنبهك إلى أن الأسرة تتكلم عن إرسال من يبحث عن موثّق العقود. وقد آن الأوان لكى تعلن عن حقيقتك أمام الجميع .

دورانت : هذه هى نيتى . وسوف أذهب متنكراً، وسأترك ورقة أبيّن فيها للسيد أرجون كل شئ .

سيلفيا : [لنفسها] تذهب ! ليس هذا هو ما دبرته أنا .

دورانت : ألا توافقين على فكرتى ؟

سيلفيا : لكن . . . لست متحمسة لها .

دورانت : ومع ذلك فإنى لا أجد فى الوضع الذى أنا فيه حلا خيراً من ذلك. اللهم إلا أن أتكلم بنفسى . وأنا لا أستطيع أن أبت فى هذه المسألة . هذا إلى أن هناك أسباباً أخرى توجب على أن أنسحب . فلم يعد أمامى ما أفعله هنا .

سيلفيا : لما كنت لا أعرف الأسباب التى توجب عليك ذلك ، لم يكن فى استطاعتى أن أوافق عليها ، ولا أن أبيّن عدم صحتها . وليس من شأنى أن أسألك عنها .

دورانت : من السهل عليك أن تخمنى ما هى يا ليزت .

سيلفيا : لكن أظن ، مثلا ، أنك تميل إلى ابنة السيد أرجون .

دورانت : أليس هناك شئ آخر تلاحظينه سوى هذا الموضوع ؟

سيلفيا : هنـــاك أشياء أخرى كثيرة يمكن أن أفرضها ، لكنى لست مجنونة ، ولست

مغرورة إلى درجة أن أفكر فيها مجرد تفكير .

دورانت : وليست لديك الشجاعة لكى تتكلمى عنها ، لأنك فى هذه الحال لن تجدى كلمة طيبة تقولينها لى ، وداعاً يالزت !

سيلڤيا : احترس : أعتقد أنك لا تفهمنى ، وأنا مضطرة أن أصرّح لك به .

دورانت : مدهش ! ولن يكون ما تقولينه فى صالحى . فاحتفظى بالسر حتى أسافر .

سيلڤيا : ماذا ! هل ستسافر حقاً ؟

دورانت : أأنت تخافين أن أغير رأيى ؟

سيلڤيا : ما أظرف أن تكون على هذا النحو من الكمال !

دورانت : هذا شئ عادىّ جداً ، وداعاً .

سيلڤيا : [لنفسها] إذا ذهب فلن أحبه بعد ذلك ، ولن أتزوجه أبداً . . . : [تنظر إليه وهو يذهب]
إنه يتوقف ، إنه يحلم ، وها هو ذا ينظر إذا كنت ألفت رأسى نحوه ، وليس فى استطاعتى أن أناديه ، أنا بنفسى .... ومع ذلك ، فمن العجيب أن يتركنى بعد كل ما فعلت . . آه ، هذه هى نهاية كل

شئ . إنه ذاهب ، ومع ذلك ، فليس لى كل التأثير الذى كنت أعتقده . إن أخى كان طائشاً ، ولم يكن ماهراً فى مسلكه . فالناس الذين لا يكترثون بشئ ، يفسدون كل شئ . ألم أهدم كل ما بنيت ؟ يا لها من نهاية تعسة ! ومع ذلك فإن دورانت يتركنى ؛ يبدو لى أنه يعود من حيث ذهب . إذن فأنا أرجع فى كلامى ، فما زلت أحبه . . . فلأتظاهر بالخروج حتى يوقفنى ؛ ومن الضرورى أن يكلفه صلحه معى بعض الشئ .

دورانت : [وهو يوقفها] انتظرى أرجوك ، فما زال لدىَّ شئ أريد أن أقوله لك .

سيلفيا : لى أنا يا سيدى ؟

دورانت : يؤلمنى أن أذهب ، دون أن أقنعك أولا بأننى لست مخطئاً حين أفعل ذلك .

سيلفيا : عجباً ! وما النتيجة ياسيدى فى أن تبرر نفسك أمامى أنا ؟ ليس هناك ما يدعو إلى ذلك ؛ فلست سوى خادمة ، وأنت لا تكف عن إشعارى بذلك .

دورانت : أنا يا ليزت ! هل أنت التى تشكين

منى ، أنت التى ترين أننى أصمم على الذهاب ، ولا تقولين لى شيئاً ؟

سيلفيا : يا للعجب ! لو أردتُ لأحسنت الرد عليك فى هذه المسألة ؟

دورانت : رُدِّى على إذن . فإن أحسن شئ أتمناه هو أن أكون مخطئاً . لكن ماذا أقول ؟ إن ماريو يحبك .

سيلفيا : هذا صحيح .

دورانت : وأنت تستجيبين لحبه ، وقد رأيت ذلك بسبب تلك الرغبة الشديدة ، التى رأيتها الآن لديك ، فى أن أذهب عنك ، فليس فى وسعك أن تحبينى .

سيلفيا : أنا أستجيب لحبه ! من الذى قال لك هذا ؟ وليس فى وسعى أن أحبك ؟ فماذا تعرف عن هذا ؟ إنك تحزم أمرك بسرعة كبيرة .

دورانت : حسناً ! أستحلفك يا ليزت بأعز ما لديك فى العالم أن تطلعينى على حقيقة الأمر ! أتوسل إليك .

سيلفيا : أطلع رجلا يرتحل عنى على حقيقة الأمر !

دورانت : لن أرتحل .

سيلفيا : اتركنى . اصغ إلىّ : إذا كنت تحبنى فلا تسألنى . فإنك لا تخاف إلا عدم اكتراثى ، وأنت سعيد كل السعادة فى أن ترانى ألتزم الصمت . فما أهمية عواطفى فى نظرك ؟

دورانت : أهميتها فى نظرى ! ليزت ! هل تستطيعين أن تشكى بعد الآن فى أننى أعبدك .

سيلفيا : لا ، إنك تكرر لى هذا الكلام كثيراً إلى درجة أنى صدقتك . ولكن لماذا تعمل على إقناعى بحبك ؟ ماذا تريد أن أفعل بكل هذا الحب ، يا سيدى . سأحدثك الآن بكل صراحة . أنت تعجبنى ، ولكن حبك ليس شيئاً جديداً بالنسبة إلىّ . فأية محاولة لم تحاولها لكى تتخلص من هذا الحب ! إن هذا الحب الذى تحدثنى عنه بلا رحمة ولا شفقة سوف يتبخر من قلبك بسبب الفارق الذى بينى وبينك . وبسبب ألف امرأة ستلقاها فى طريق حياتك ، وبسبب تلهف النساء على إيقاعك فى حبهن ، وهذا ما أخشاه . وبسبب ألوان المتع التى يبغيها رجل فى مستواك .

ولعلك ستضحك وأنت خارج من هذا البيت ، وستكون على حق . أما أنا يا سيدى فماذا أستطيع أن أفعل ضد تأثير هذا الحب إن أنا تذكرته — وهذا ما أخشاه ، وإن هو تملك قلبى ؟ ومن ذا الذى يعوضنى عن فقدانك ؟ ومن ذا الذى تريد أن يتعلق به قلبى بدلا منك ؟ هل تعلم أننى إذا أحببتك ، فلن يتأثر قلبى بعد ذلك بأجمل شئ آخر فى العالم ؟ إذن فلتحكم على الحالة التى سأكون فيها . كن كريماً معى ولا تظهر لى حبك . وأنا التى أكلمك سوف أتحرج من أن أقول لك إنى أحبك ، وأنت فى الوضع الذى أنت فيه . إن اعترافى لك بعواطفى قد يعرّض تفكيرك للخطر ، فها أنت ذا ترى جيداً أنى أخفى عنك عواطفى .

دورانت : آه ! ياعزيزتى ليزت ماذا أسمع منك ؟ إن لكلامك لحيا يسرى فى جسمى . إنى أعبدك وأحترمك . فليس هناك مركز اجتماعى . ولا حسب أو نسب . ولا ثروة إلا وتختفى أمام روح مثل روحك .

ولا بد أن أخجل من نفسى لو أن كبريائى ظلت تقاومك . إن قلبى ويدى ملك لك .

سيلفيا : فى الحقيقة ألا ترى أنك جدير بأن أقبلهما منك أليس من واجبى أن أكون كريمة معك ؟ إلى حد أخفى ما أشعر به من سرور هائل بسبب ماتعرضه علىّ ؟ وهل تعتقد أنه من الممكن أن يستمر هذا الحب ؟

دورانت : إذن أنت تحبيننى ؟

سيلفيا : لا ، لا ، إذا سألتنى عن ذلك مرة ثانية فلن أكون مسئولة عما سيحدث لك من ضرر .

دورانت : إن تهديداتك لاتخيفنى مطلقاً .

سيلفيا : وماريو ؟ ألم تعد تفكر فى أمره ؟

دورانت : لا ياليزت . ماريو لا يسبب لى أى خوف ؛ فأنت لا تحبينه ، ولن تستطيعى أن تخدعينى ؛ فقلبك قلب حر ، وأنت حساسة تجاه حبى لك . وليس فى وسعى أن أشك فى صدق النشوة التى استولت علىّ ، فأنا واثق من كل ذلك ، ولن تستطيعى أن تنتزعى هذا اليقين .

سيلفيا : آه ، لن أحاول قط أن أنتزع منك يقينك

فاحتفظ به ، وسنرى ماذا سنصنع به .

دورانت : ألا توافقين على أن تكونى لى ؟

سيلڤيا : ماذا ، هل ستتزوجنى على الرغم من مركزك، وعلى الرغم من غضب والدك، ومن ثروتك ؟

دورانت : سوف يصفح عنى أبى بمجرد أن يراك . أما ثروتى فهى تكفينى وتكفيك . فالمزايا الشخصية ليست أقل من كرم الأصل بأية حال ، لأنى لن أتغير أبدا .

سيلڤيا لن تتغير أبدا ! هل تعلم جيدا يادورانت أنك تسحرنى ؟

دورانت : إذن لا تكبتى حنانك . ودعيه يرد علىّ .

سيلڤيا : أخيراً لقد ألقيت سلاحى . أنت . . . أنت لن تتغير أبداً ؟

دورانت : لا ، ياعزيزتى ليزت !

سيلڤيا : يا له من حب !

المنظر التاسع

السيد أرجون ، سيلفيا ، دورانت ، ليزيت ، أرلكان ، ماريو

سيلفيا : آه ! يا أبى ، لقد أردتَ أن أكون لدورانت. تعال انظر إلى ابنتك التى تطيعك بسرور كبير جداً لم ير أحد له مثيلا .

دورانت : ماذا أسمع ؟ أأنت والدها يا سيدى ؟

سيلفيا : نعم يا دورانت : إن نفس الفكرة أن يعرف أحدنا الآخر قد خطرت بذهن كل منا . وبعد هذا ، لم يعد لدىَّ ما أقوله لك . أنت تحبنى ، ولن أستطيع الشك فى حبك . لكن لك بدورك أن تحكم على عواطفى نحوك ، وأحكم على طريقتى فى الوصول إلى قلبك . وبأية رقة حاولت أن أستولى عليه .

السيد أرجون : أتعرف هذا الخطاب ؟ إنه هو الذى أخبرنى بتخفيك ، ولكن ابنتى لم تعلم ذلك إلا منك .

دورانت ليس فى إستطاعتى أن أعبِّر لك عن مقدار سعادتى ياسيدتى ، ولكن الدلائل التى قدمتها لك على حبى هى التى تأخذ بلبى

أكثر من أى شئ آخر .

ماريو — هل سيغفر لى دورانت ما سببته لبورجونيون من غضب ؟

دورانت — لن يغفر لك ذلك ، بل سيشكرك عليه .

أرلكان — [لليزت] ابتهجى يا سيدتى لقد فقدت مركزك الاجتماعى . ولكن ذلك لا يضيرك مادام أرلكان قد بقى لك .

ليزت — يالك من عزاء ! أنت وحدك الرابح فى هذه الصفقة .

أرلكان — لن أخسر شيئاً . فقبل أن أعرفك كان مهرك أحسن منك ، والآن أنت أحسن بكثير من مهرك . هيا ، فاترقص طربا ، أيها المركيز .

(انتهت)

سلطان کوستا تومناس دوشرکاء
٥ [illegible]
١٣ [illegible]